ظل الحقيقة

ذكريات الماضي تدمر حاضرنا

بقلم الكاتبة : دحماني جيهان

كان سليم يستيقظ كل يوم على صراخ والدته ووالده، وكأن الشجار بينهما أصبح جزءًا من رويتنه اليومي. لم يكن يعلم لماذا يتشاجران باستمرار،

فهو لا يزال صغيرًا، بعمر السادسة، ولا يفهم كلمة مما يقولانه. كان كل ما يحتاج إليه هو حضن دافئ يحتويه، أم تطبطب عليه، وأب يلاعبه، يصحبه إلى حديقة الألعاب، ويشتري له الحلويات.

لكن أحلامه كانت تتبخر كل صباح عندما يستيقظ على هذا المشهد المخيف. غالبًا ما كان يبلل فراشه ليلاً، وأمه تصرخ عليه صباحًا قائلة:

"سليم، لقد أصبحت كبيرًا للغاية! إلى متى ستستمر في تبليل فراشك؟ إذا علم أصدقاؤك بذلك، سيسخرون منك!"

كان سليم ينزل رأسه بيأس وخجل، يعلم أنه لا يفعلها عمدًا، لكنه لا يستطيع إيقافها. يعتذر من أمه بخفوت، ثم يهرب مسرعًا ليختبئ عند أبيه، لكنه يتلقى

توبيخًا آخر:

"إلى متى ستبقى بهذا الشكل؟ هل تريد أن تظل مصدرًا للمشاكل في هذا البيت؟"

تملكه الحزن واليأس، لكنه حاول جاهداً أن يخفي ألمه.

بدأ يستعد للذهاب إلى مدرسته، يحمل كومة من الأفكار في رأسه، ويترك خياله يسرح بعيدًا بينما ينظر من نافذة السيارة إلى الغيوم. كان يتمنى أن تكون حياته بسيطة كالغيم، تسبح بهدوء دون عاصفة.

وصل سليم إلى مدرسته لكنه لم يكن يملك أصدقاء، فقد كان كل تلاميذ الصف يتنمرون عليه وعلى شكله وملابسه. كان يبكي بصمت لكنه يظهر لهم أنه لا يتأثر بكلامهم، وأنه إنسان قوي. كان يضع كل تركيزه في دراسته، فقد كان من أول الأيام من الأوائل.

ثم ظهرت أمامه حب طفولته، ميلا ذات الشعر الذهبي. لقد كانت أجمل فتاة في الصف، وكان كل الأولاد يتقاتلون من أجلها. لكن سليم كان عقلانيًا، فهو كان يعرف أنه من المستحيل أن تنظر فتاة مثل ميلا إلى فتى مثله. لذلك كان يدفن حبه في قلبه وأحيانًا كان يسرق نظرات لها ليحتفظ بها داخل قلبه.

دق جرس الاستراحة، فخرج الجميع إلى الساحة ما عدا سليم. كان يكتب في دفتره عبارة عن الشوق والحب، حتى لمح شخصًا يقف فوق رأسه. إنه عماد، المتنمر المعروف في الصف.

قال عماد: "ماذا تكتب أيها الأحمق؟"

ثم سرق الدفتر منه وركض به إلى الساحة. ركض وراءه سليم محاولًا استرجاع دفتره. بدأ عماد يقرأ ما كان يكتبه سليم، لكنه كان لا يجيد القراءة جيدًا. فسرق سليم الدفتر منه مجددًا، وهدده ألا يقترب منه مرة أخرى.

لكن عماد كان منزعجًا جدًا من تهديد سليم، خاصةً أنه حدث أمام الجميع، وشعر أن ذلك جعله يبدو كالأحمق. فأمسك بسليم وأوسعه ضربًا، ثم تركه ملقى في وسط الساحة.

دق الجرس مرة أخرى معلنًا العودة إلى الصفوف. نهض سليم ببطء، يلم شتات نفسه، وتوجه إلى صفه. استأذن من معلمته، ثم جلس في مكانه يبكي في صمت، محاولًا إخفاء الألم الذي يشعر به.

دق الجرس معلنًا نهاية يومه الدراسي، ولكن سليم لم يكن متحمسًا للخروج مثل باقي الأطفال. كان يعلم في قرارة نفسه أن والده لن يأتي ليأخذه، فقد اعتاد على هذا الإهمال. ببساطة، كان والده قد نسي تمامًا موضوعه. فتوجه بخطوات ثقيلة إلى منزله، وعينيه غارقتان في الدموع.

كلما اقترب من منزله، ازدادت أنفاسه صعوبة، وكان يشعر بكل ثقل العالم على كتفيه. وصل إلى باب المنزل وهو في حالة يرثى لها، فلاحظ أن أصوات الشجار بين والديه كانت تعلو من جديد.

دخل غرفته بسرعة، وألقى بنفسه على سريره. عيونه كانت مليئة بالدموع، وهو لا يستطيع التخلص من أفكار تشوش ذهنه. "لماذا أنا هنا؟ لماذا أنجباني إذا كانوا لا يحبونني؟ لماذا يعاملاني بهذه القسوة؟" تساءل في نفسه.

بينما كانت أفكاره تدور في حلقة مفرغة، بدأ النعاس يتسلل إليه ببطء، فلم يشعر بنفسه إلا وقد غرق في عالم الأحلام، حيث لا وجود للألم ولا للدموع.

لكن في اليوم التالي، استفاق سليم مفاجئًا، وقد بلل فراشه كعادته. وبدلاً من سماع ضحكات أمه أو صوت الأب الحنون، كان يسمع صرخات أمه المدويّة من كل زاوية في البيت. قفز من سريره، وجسده يرتعش من الخوف، وتوجه إلى مصدر الصوت.

وجد أمه جالسة بجانب والده، الذي كان مستلقيًا في بركة من الدماء الحمراء. كان المنظر مرعبًا، كانت أمه تبكي بحرقة، تحاول إيقاظه، لكن دون جدوى.

كان سليم في حالة من الصدمة، عينيه الواسعتين تملؤهما الحيرة. لم يستطع فهم ما حدث. كل ما شعر به هو الألم، لكن الألم الأكبر كان في قلبه الصغير.

اقترب منها بخطوات مترددة وسألها بصوت خافت، لكنه مليء بالبراءة: "أمي، ماذا حدث؟ ما به أبي؟"

لم يعلم سليم كم من الوقت مر بالفعل، فقد كان ذهنه ضبابيًا وسط مشهد لم يكن يستطيع استيعابه. جاءت الشرطة والإسعاف بسرعة، وحملوا والده المصاب، ولم يكن هناك سوى الصمت والدموع في عيني سليم، الذي كان يبكي بشدة. كان يصرخ بصوتٍ مكتوم، لكن قلبه كان مليئًا بالألم: "أريد الذهاب مع أبي، أرجوكم!"

وفي تلك اللحظة، خرجت أمه من الغرفة، وكانت تُمسك بيدها من قبل اثنين من رجال الشرطة. ركض سليم نحوها، وأمسك بها بعنف وكأنّه يحاول منعها من مغادرة المكان. "لقد ذهب أبي... أرجوكِ لا تذهبي أنتِ أيضًا!" قالها بصوت يملؤه الخوف والقلق.

انخفضت أمه إلى مستواه، وأمسكت بيديه الصغيرة برفق، عيونها ممتلئة بالدموع وهي تقول: "سامحني يا بني، سامحني، أنا كنت في لحظة ضعف فقط... سامحني..."

مرت السنوات بلمح البصر، واستمرت الحياة في طريقها المظلم، لكن سليم كان يواصل الصمود. أصبح شابًا وسيمًا، يتمنى الكثيرون أن يكونوا في مكانه. كانت عضلاته قوية، ومظهره الجذاب لا يمر دون أن يلاحظه الجميع. أصبح حديث الفتيات، لكن قلبه كان مازال محاصرًا في عالمه الخاص، بعيدًا عن كل ما يحيط به.

بعد وفاة والده ودخول أمه السجن، انتقل سليم للعيش مع جدته، التي كانت قاسية في تعاملها معه. كانت لا تفضل إظهار مشاعرها بشكل واضح، لكن من بين كلماتها القاسية كان هناك حب كبير لا يُظهره إلا من عرف كيف يقرأ تعابير وجهها. كانت دائمًا تحاول أن تكون صارمة معه، فكانت لا تريد أن يصبح مدللاً مثلما كانت تُعامل والدته، والتي لم تحسن تربيتها بشكل كافٍ.

ورغم قسوة جدته، كان سليم يفهم أنه من خلال هذا الأسلوب الصارم كانت تحاول أن تزرع فيه قيمًا ثابتة. وتضع عليه مسؤولية كبيرة في كل خطوة. بدأت تظهر آثار ذلك في شخصيته، لكن شيئًا ما كان يتغير داخله. كان كأن بركانًا ثائرًا يشتعل في صدره، لكنه كان يغطيه ببرودة مثل الثلج. بدأ يعامل الجميع بنفس الطريقة الباردة، مظهره الخارجي كان هادئًا، لكن أعماقه كانت مليئة بالقلق والتساؤلات.

لم يكن يعرف كيف يعبر عن مشاعره، فأصبح يعيش في عالمه الخاص، بعيدًا عن أي علاقة حقيقية. حتى صديقه الذي كان في يوم من الأيام متنمرًا عليه، عماد، أصبح الآن أقرب أصدقائه. ومع مرور الوقت، كانت العلاقة بينهما تزداد قوة، رغم أن سليم كان يرى في عماد نوعًا من الانعكاس لما كان عليه من قبل، لكنه في الوقت نفسه شعر بأنه لا يستطيع أن يتخلى عن هذه الصداقة الغريبة. فعماد، الذي كان ذات يوم سببًا في معاناته، أصبح الآن الشخص الذي يشاركه بعض اللحظات في حياته.

كان سليم يقف أمام مرآته في غرفته الصغيرة، يرتدي زيّ المدرسة الذي بدا مرتبًا ولامعًا بفضل يد جدته الحازمة. لكنها، رغم حرصها على مظهره الخارجي، لم تتمكن أبدًا من لمس أعمق زواياه. كان يحمل داخله خليطًا من المشاعر المتناقضة: ألم الماضي، وحنين لأمٍ غائبة، وحقد دفين على والده الذي لطالما كرهه بسبب قسوته.

في المدرسة، كان يُعامل بشكل مختلف. لم يكن الطفل الضعيف الذي كان عليه في صغره، بل أصبح شابًا طويل القامة، مفتول العضلات، ذا هيبة تسبق حضوره. إلا أن هناك شيئًا ما في عينيه، نظرة غامضة تحمل حزنًا دفينًا يراه كل من يقترب منه.

لكن رغم هيبته، لم يكن قريبًا من أي أحد. كان يفضل الوحدة، يذهب إلى المكتبة بدلاً من الساحة أثناء الاستراحة، يقرأ كتب الفلسفة وعلم النفس، ويحاول أن يجد تفسيرًا للحياة التي عاشها.

في أحد الأيام، كان يجلس في المكتبة، متصفحًا كتابًا عن كيفية التعامل مع الصدمات النفسية. همست فتاة بصوت منخفض بجانبه:

"لا أصدق أنك مهتم بهذه الكتب. هل تبحث عن حلٍّ لمشكلة ما؟"

التفت سليم ببطء إلى مصدر الصوت. كانت ميلا، الفتاة التي أحبها في صغره، لكنها الآن تبدو مختلفة. شعرها الأشقر الطويل ينسدل بحرية على كتفيها، وعيناها الزرقاوان تحملان نظرة فضولية.

"ليس بالضبط... أحب القراءة فقط." ردّ ببرود، محاولًا إخفاء ارتباكه.

"كنت أراك دائمًا وحيدًا، لكنك لا تبدو كأي أحد هنا. أنت... مختلف." قالتها بابتسامة لطيفة.

تلك الكلمات اخترقت حواجزه. ظل صامتًا للحظة، ثم ردّ بنبرة هادئة: "كل شخص لديه قصة، أليس كذلك؟"

بدأت ميلا بالاقتراب منه شيئًا فشيئًا. كانت تحاول إخراجه من عزلته، تتحدث معه عن أحلامها، عن الأشياء التي تحبها، وعن رغبتها في السفر إلى أماكن بعيدة.

بالنسبة لسليم، كانت تلك اللحظات هي الوحيدة التي يشعر فيها بشيء من الدفء. لكنه كان يخاف أن يقترب كثيرًا، أن يكشف عن ماضيه، أن يظهر الضعف الذي يخفيه.

في أحد الأيام، قالت له ميلا بنبرة جادة:

"سليم، أعلم أن هناك شيئًا تخفيه. لكن لا بأس، أنا هنا."

شعر سليم للمرة الأولى برغبة في الحديث، في الإفصاح عن كل ما يحمله قلبه. لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة، مكتفيًا بابتسامة باهتة.

ربما يومًا ما، لكن ليس الآن.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً، وسليم يجلس في غرفته يراجع ملاحظاته الدراسية. كان يعيش حياة منظمة، بعيدة عن كل أشكال الفوضى. لكن فجأة، رن هاتفه. كان الاتصال من عماد، صديق طفولته الذي لم يكن يُصنف كأفضل قدوة.

"سليم، أين أنت؟ تعال إلى البار المعتاد. أحتاجك." قالها عماد بصوت مفعم بالإلحاح.

"عماد، أنت تعرف أنني لا أحب الأماكن التي تذهب إليها. لدينا حياة مختلفة تمامًا." ردّ سليم محاولًا التملص.

"أرجوك يا رجل، إنها ليلة سيئة بالنسبة لي. فقط تعال. أحتاج إلى التحدث مع أحد يمكنه أن يفهمني."

شعر سليم ببعض التردد، لكنه قرر الذهاب. لم يكن عماد صديقًا مثاليًا، بل كان النقيض تمامًا: متمرد، فوضوي، يعيش حياته في الحانات والنوادي الليلية. لكن هناك شيء ما في صداقتهما كان دائمًا يربطهما ببعضهما.

عندما وصل سليم إلى البار، وجد عماد جالسًا في زاوية مظلمة، أمامه كوب نصف ممتلئ من مشروب لم يتناوله بالكامل. كان يبدو شاردًا، عيناه تعكسان حزنًا عميقًا.

"ما الأمر يا عماد؟ تبدو أسوأ من المعتاد." سأل سليم وهو يجلس بجانبه.

"إنها فقط الحياة يا سليم. أشعر وكأنني أعيش بلا هدف. أهرب من مشاكلي إلى هذه الأماكن، وأحاول أن أنسى، لكن لا شيء يتغير."

أراد سليم أن يرد بشيء يشجعه، لكنه لم يستطع. كان يعلم أن عماد يحمل على عاتقه أعباءً كبيرة، بعضها من صنعه، وبعضها الآخر من الظروف التي عاشها.

في هذه اللحظة، اقتربت فتاة من طاولة عماد. كانت شابة جميلة، ذات ملامح حادة وشعر داكن يتناثر على كتفيها. نظرتها تحمل جرأة غير مألوفة.

"مرحبًا، عماد. هل ستعرفني على صديقك؟" قالت بنبرة واثقة وهي تنظر إلى سليم.

"هذا سليم، صديق طفولتي. وسليم، هذه ليلى. تعمل هنا." قالها عماد بلامبالاة.

نظرت ليلى إلى سليم بابتسامة غامضة: "أنت مختلف عن عماد، أليس كذلك؟ تبدو... نظيفًا جدًا لهذا المكان."

رد سليم بهدوء: "لست معتادًا على هذه الأماكن، لكني هنا من أجل صديق."

ضحكت ليلى وقالت: "أحيانًا، أكثر الأشخاص نظافة هم الذين يحتاجون هذا النوع من الفوضى."

بدأت المحادثة تتحول بين الثلاثة، لكن سليم كان يشعر بنوع من الانزعاج. ليلى كانت تبدو ذكية، لكنها أيضًا تحمل ظلالًا من الغموض. كانت تحاول فهمه من خلال كلمات قليلة، وهو لم يكن معتادًا على هذا النوع من الأشخاص.

بعد فترة، قال عماد بصوت منخفض:

"سليم، هذه الفتاة لديها قصة طويلة. ليست مجرد نادلة."

نظرت ليلى إلى عماد بغضب خفيف وقالت: "لا تحكي عني كما لو أنني لست هنا. كل شخص لديه قصته، أليس كذلك؟"

شعر سليم بأن هناك أشياء كثيرة تدور في خلفية هذا المكان، أشياء لا تُقال بسهولة. لكنه قرر أنه لن ينغمس فيها أكثر مما يجب.

"عماد، لقد أتيت لأطمئن عليك. أعتقد أنني سأغادر الآن." قالها سليم وهو يقف.

رد عماد بابتسامة ساخرة: "كما تريد يا صديقي النظيف. دائمًا تعرف متى تهرب."

بينما غادر سليم المكان، بقيت كلمات ليلى عالقة في ذهنه: "أكثر الأشخاص نظافة هم الذين يحتاجون الفوضى."

أصبح سليم مع مرور الوقت أكثر وحشية وابتعادًا عن الناس. لم يعد يسمح لأي شخص بالاقتراب منه، وبدأ يتعامل مع الجميع ببرودة شديدة، حتى أنه لم يكن يهتم بتكوين علاقات مع الفتيات كما كان يفعل في السابق. كان صديقه عماد دائمًا ما ينصحه أن يجرب إقامة علاقات عاطفية، لكن سليم كان يرفض دائمًا تلك النصائح. كان يعتقد أن مثل هذه العلاقات ستؤثر سلبًا على مساره الدراسي وحياته بشكل عام.

سليم كان يعيش في عالمه الخاص، يضع كل طاقته في دراسته ورياضته، معتمداً على نفسه فقط، لا يريد أن يسمح لأي شيء أو أي شخص

بالتأثير على مستقبله. كانت علاقاته مع الآخرين سطحية، وغير عميقة، وكان يفضل أن يظل بعيدًا عن أي نوع من التعلق العاطفي.

حتى ميلا، حب طفولته، لم تنجح في الاقتراب منه أو إعادة إشعال قلبه بالحب. كانت هي مجنونة به، ولكن سليم كان قد أطفأ شعلة حبه في قلبه. لم يعد يأبه لأي شيء سوى نجاحه وتحقيق أهدافه. كان كل تركيزه على مستقبله، وقرر أن يبتعد عن أي مشاعر قد تعيق طريقه.

كانت ميلا تحاول دائمًا أن تلتقط نظراته أو تثير اهتمامه، لكنه كان يغلق قلبه وعينيه عنها، لا يريد أن يعود إلى الماضي الذي جعله ضعيفًا. الحب بالنسبة له أصبح شيئًا من الماضي، ليس له مكان في حياته الحالية.

لكن هناك فتاة واحدة فقط كانت تدور في رأسه، ليلى، النادلة في المقهى الذي يذهب إليه بين الحين والآخر. لم يكن حب، بل كان مجرد فضول. كان يريد أن يعرف شيئًا عن حياتها، ربما يكون ذلك الفضول هو الذي جعله ينسى بعضًا من ألمه ويبتعد عن أفكار حياته المظلمة. ليلى، على الرغم من كونها مجرد نادلة، كانت تمثل له لغزًا، وكان سليم في محاولات

دائمة لاكتشافه، متمنيًا أن يعرف أكثر عن تلك الفتاة التي أصبحت محور تفكيره في لحظات فراغه.

اتصل سليم بصديقه عماد، وهو أمر غير معتاد منه. أخبره أنه يرغب في الذهاب إلى البار الذي التقيا فيه سابقًا. تعجب عماد من طلب صديقه، لكنه قرر تلبيته ورافقه إلى هناك.

ما إن دخلا، بدأت عيون سليم تبحث عن تلك الفتاة بلهفة. كانت نظراته تتنقل هنا وهناك، وكأنها تبحث عن شيء مفقود. شعر عماد بشيء غريب في تصرفات صديقه وسأله بفضول:

"ما الذي تبحث عنه يا صديقي؟"

أجاب سليم بخجل، يحاول أن يخفي ما يشعر به:

"لا شيء، فقط كنت أتساءل... أمم... لا شيء، لا شيء."

لكن عماد لم يتركه، فأجاب:

"تكلم يا صديقي، لا حاجة للخجل.

"هل أنت تبحث عن ليلى

سكت سليم للحظة ثم أجاب بخجل:

"في الحقيقة، يجتاحني فضول غريب لمعرفة أخبارها وأسرار حياتها."

ضحك عماد ضحكة صغيرة، ثم قال:

"كان يمكنك أن تسألني ببساطة. ليلى ليست سرًا كبيرًا كما كنت تتخيل. هي مجرد فتاة يتيمة، ليس لها حظ أن تلتقي بوالديها. تربت في الميتم وحيدة، وعليها أن تعمل في أماكن كهذه لتتمكن من دفع نفقات دراستها."

تعجب سليم من شجاعة ليلى. كيف لها أن تكون قوية ومصممة على الحياة رغم كل ما مرَّت به؟ أحس باحترام عميق تجاهها، وبدأ يشعر بشيء لم يكن يتوقعه. كانت تملك شيئًا جعله لا يستطيع أن يخفي إعجابه بها.

سأله سليم:

"وأين هي الآن؟"

أجاب عماد:

"ربما لم تداوم اليوم، فهي لا تعمل هنا دائمًا."

نظر سليم إلى عماد وقال:

"إذاً دعنا نذهب."

ضحك عماد على رد فعل سليم وقال مازحًا:

"يبدو أنك وقعت في فخ الحب."

أجاب سليم، يحاول إخفاء خجله:

"أي فخ هذا؟ أنا فقط كنت أشعر بالفضول، لا شيء أكثر."

رد عماد ضاحكًا:

"نعم، فضول الحب."

ثم خرجا معًا، يضحكان من قلبهما، رغم أن قلب سليم كان ينبض بشدة من شيء لا يستطيع فهمه بعد.

في اليوم التالي، استفاق سليم على صوت جدته التي كانت تغني في المطبخ. شعر بشيء من السكينة يملأ قلبه، فذهب إلى المطبخ وقال:

"صباح الخير يا أجمل وأحن وأرق جدة في الكون."

ردت جدته بابتسامة دافئة:

"صباحك أحلى يا سليم. يبدو أنك نمت جيدًا، فأنا لم أراك بهذا المزاج العالي منذ فترة طويلة."

قال سليم وهو يبتسم:

"أشعر أن الحياة قد ضحكت في وجهي أخيرًا."

قالت جدته بلطف:

"عساه خير. لقد حضرت لك الفطور، إفطر قبل ذهابك إلى المدرسة."

أجاب سليم وهو يهم بالخروج:

"سأجهز نفسي وأتي لأفطر."

صعد إلى غرفته ليستعد، لكنه لم يكن يعلم أن يومه سيبدأ بشيء غير متوقع. ما هي إلا دقائق حتى سمع صوت الهاتف يرن في الأسفل. نزل

سريعًا ليجد جدته تتحدث في الهاتف، لكنها لم تلاحظ وجوده. اقترب منها بهدوء، وظل يستمع إلى محادثتها.

صوته الخشن كان ملئ بالحدة، وكان هناك شيء في نبرتها يجعل سليم يشعر بشيء غريب.

قالت الجدة بلهجة غاضبة:

"لماذا تتصلين؟ ألم أخبرك ألا تتصلي مجددًا؟ لا أريد أن أسمع منك أية تبريرات. أرجوك، هذا في مصلحة ابنك. لا أريده أن يعرف أية أخبار عنك."

ثم صمتت قليلاً قبل أن تتابع، وكأن كلماتها تخرج من بين أسنانها:

"إسمعي، لا تحاولي العبث معي وافتعال المشاكل. رسائلك التي كنت تبعثينها طوال هذه السنين كنت أمزقها وأرميها. لا تجعلي تعب سنيني يذهب هباءً. اذهبي إلى الجحيم!"

أغلقت الهاتف بغضب، وكان صمت طويل بعد تلك الكلمات القاسية.

توقف سليم في مكانه، قلبه ينبض بسرعة. أفكار كثيرة تدور في عقله. من كانت تلك التي تتكلم معها جدته؟ وماذا كانت تعني بتلك الرسائل؟

لم يستطع تصديق ما سمعه. هل هي هي؟ نعم، هو متأكد الآن.

اقترب سليم من جدته وهو يحاول إخفاء حزنه وغضبه. كانت عيناه مليئتين بالشكوك، فصوته ارتعش وهو يسأل:

"جدتي، مع من كنتِ تتحدثين منذ قليل؟"

أجابت الجدة محاولة الإنكار:

"لا أحد يا بني."

لكن سليم لم يقتنع، فأعاد السؤال مرة أخرى بلهجة غاضبة:

"لا تكذبي عليّ يا جدتي، لقد سمعتك جيدًا."

جاء رد الجدة في محاولة لإخفاء الحقيقة:

"آه، أنت تقصد المكالمة الهاتفية؟ لقد اتصلت الجارة وطلبت مني المجيء إليها، لكنني أخبرتها أنني مشغولة ولا أستطيع الذهاب."

لكن سليم بدأ يفقد صبره. انفجر في وجهها، صوته ارتفع بشكل هستيري:

"لا تكذبي عليّ، لا تكذبي! لقد سمعتك! لماذا تفعلين هذا؟ لماذا تحاولين أن تجعليني أنساها؟ لماذا؟"

تنهدت الجدة، محاولات خنق مشاعرها، ثم قالت بصوت حاد:

"يجب أن ننسى، يا سليم، شيء اسمه والدتك. هي تركتك، تركتك في اليوم الذي فعلت فيه تلك الفعلة الشنيعة بأبيك. أين كان عقلها؟ ألم تفكر فيك؟ ألم تفكر في طفلها الذي ستتركه خلفها؟ إذا لم تكن تفكر بحياتها هي، على الأقل كان عليها أن تفكر بحياتك أنت. لا يمكنني الغفران لها. لا يمكنني السماح لك بالذهاب إليها."

ثم أضافت بنبرة قاسية:

"وأرجوك، لا تعارضني. يجب عليك أن تمسح تلك الفكرة من رأسك."

هز سليم رأسه بموافقة، لكنه كان يحمل في قلبه ما هو أكثر من كلمات الجدة.

خرج من المنزل متوجهًا إلى عزلة جديدة، عقله مليء بالأسئلة. لماذا؟ لماذا لا تريدني أن أراها؟ لماذا تحرمني من حقي أن أفهم ماذا حدث؟

اتصل سليم بصديقه عماد، صوته كان يملأه الحزن والقلق.

"مرحبًا يا صاح، كيف حالك؟" سأل سليم بصوت خافت.

"لست بخير..." جاء الرد بصوت مليء بالهموم.

"أوه، أين أنت؟" سأل عماد بقلق، عارفًا أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام.

"أنا في مكان المعتاد." أجاب سليم بسرعة، وكأن لا شيء يمكنه أن يوقفه الآن.

"حسنًا، أنا قادم إليك." قال عماد، وأغلق الهاتف سريعًا.

بدأ سليم يجهز نفسه للذهاب إلى المكان الذي يقصده، فكان بحاجة إلى الحديث مع شخص يفهمه.

"هي دائمًا تفعل هذا، يا عماد! هي دائمًا تحاول أن تحميني من شيء لا أعرف ما هو!" كان سليم يتكلم بصوت مختنق، كأن كلمات قلبه لا تجد طريقها للخروج بسهولة. "حقي أن أعرف الحقيقة كاملة! لماذا لا تحاول أن تفهمني قليلًا؟ لا أريد أن أنسى الماضي، أريد أن أعرفه... يا صديقي، لا أريد شيئًا آخر، أريد فقط معرفة الحقيقة."

وقف لحظة، ثم أكمل، صوته يتعالى شيئًا فشيئًا: "أريد أن أعرف من أنا، لماذا أنا هنا؟ لماذا الجميع تخلى عني بهذه السهولة؟ لماذا أمي كرهتني منذ صغري... وتخلت عني بسهولة؟ ماذا فعلت لهم لأستحق هذا كله؟

كانت الكلمات تخرج من فمه كالرصاص، كل سؤال كان يشد قلبه أكثر فأكثر، وكل جرح قديم يتجدد وكأنه لم يُشفى أبدًا.

أمسك عماد بيد صديقه وأخذ يقوده قائلاً: "تعال معي." سليم نظر إليه بتساؤل، وقال: "إلى أين؟" "اتبعني فقط"، أجاب عماد بحسم. نهض الإثنان معاً، واتجها نحو المكان الذي يخبئ وراءه الكثير من الآلام واللحظات التي لن تُنسى.

دخلوا إلى أحد البارات المظلمة التي تعج بالموسيقى الصاخبة والمشروبات الروحية. كانت الفتيات يرقصن على أنغام الموسيقى، بينما تعم الفوضى في كل زاوية. عماد اقترب من البار وطلب مشروبًا لسليم، قائلاً: "اليوم هو يومك، يا صديقي. عليك أن تنسى كل شيء.

"ولكن لدي مراجعة مهمة، نسيت أننا في فترة الامتحانات؟" قال سليم بضجر.

لكن عماد لم يهتم، بل أجاب بلهجة متأففة: "أنا أحاول أن أجعلك أفضل. ثق بي، ستحب هذا." وضع المشروب أمام سليم، الذي أخذ منه رشفة مترددة، ثم تجرع أكثر رغماً عنه. "كيف تشعر الآن؟" سأل عماد بابتسامة خبيثة. سليم ابتلع اللقمة بصعوبة وقال: "لا أعلم، لا أستطيع

التركيز." ضحك عماد وقال: "لا يزال لم يأثر بك بعد. استرخِ يا صديقي، استمتع باللحظة."

مرت الساعات بينما كان الإثنان يغرقان في السكر، تتسارع خطواتهما على إيقاع الموسيقى العالية. كانت الأنوار تتقلب، والوجوه تبتسم، والنساء يرقصن في مشهد يشبه الحلم. لكن في وسط هذا الاندفاع، لاحظ سليم فتاة جميلة كانت ترقص بالقرب منهم. أسرع إليها، ودون أن يفكر بما قد يحدث، بدأ يرقص معها بجنون....لكنها أفاق من حالته تلك و خجل من نفسه اراد الخروج من ذالك المكان وهو في حالة من الضياع والغضب. كانت مشاعر مختلطة من الندم والحيرة تملأه، فكيف يمكنه أن يصبح مثل هذا؟ كيف فقد السيطرة على نفسه بهذه السهولة؟ قال في نفسه وهو يخطو نحو الباب: "هذه آخر مرة أتبع فيها هذا المجنون، عماد."

وكان الليل قد أظلم تماماً، لكن سليم، في قلبه، كان قد دخل في عتمة جديدة.

في طرقات الشارع المظلمة، كان سليم يمشي وكأن جسده يرفض الانصياع لعقله، خطواته متثاقلة، عيونه تائهة كمن يسير في عالم آخر. لكن فجأة، اصطدمت عيناه بعينيها. نعم، إنها هي؛ ليلى، فتاة البار الجميلة التي تسللت إلى عقله قبل قلبه، التي جعلت أفكار قلبه تتسارع دون أن يعرف سبب ذلك. كانت تمشي بخطوات ثابتة، واثقة، كما لو أن الكون نفسه لم يستطع أن يمسّ قوتها.

نظر إليها بإعجابٍ عميق، متسائلاً: كيف يمكنها أن تكون بهذه المثالية رغم قسوة القدر عليه؟ كيف يمكن أن تكون بهذه الشجاعة، بقلبٍ متين؟ في قلبه، انطلقت أمنية مستحيلة: "كم أتمنى أن أكون مثلها، واثقًا من نفسي، شجاعًا كالمحارب في ساحة المعركة."

توجه نحوها، وكانت المسافة بينهما تكاد تنفصل عن كل شيء. ألقى عليها تحيةً، فرفعت عينيها عليه، ولكن بدا عليها أنها لا تذكره. لحظة من الصمت، ثم قالت فجأة، "هذا أنت؟"

شعرت الدهشة تملأ قلبه، هل يعقل أن هذه هي الصدفة التي كان ينتظرها؟ قال بصوتٍ منخفض، يكاد لا يسمع، "علميني أن أكون مثلك."

ابتسمت ليلى ابتسامة خفيفة، وقالت بتعجب، "عفواً، ماذا تقصد؟"

أجاب سليم بكل صدقٍ وتردد، "أريد أن أكون رائعًا مثلك، شجاعًا، محبًا للحياة، واثقًا من نفسي."

أجابت ليلى، بنبرة هادئة وثابتة، "لا يجب أن تكون مثلي لتكون رائعًا، فقط ابق نظيفًا، حافظ على قلبك طاهرًا، واعمل جاهدًا لتحترم نفسك، وستجد أن العالم بأسره سيكون في صفك."

ثم انصرفت ليلى، تاركة سليم في حيرة أكبر مما كان عليه، كلماتها تتردد في أذنه، وكأنها أضحت جزءًا من عقله، لا يستطيع التخلص منها. كان قلبه مثقلاً بتساؤلات لا تنتهي، وعقله ضائع في بحر من الأفكار. "أه يا ليلى،

ماذا فعلتِ بي؟" همس لنفسه وهو يسير في الشوارع، غير قادر على السير بتوازن، وكأن شيئًا ثقيلًا يثقل خطواته.

مع بزوغ صباح اليوم التالي، استفاق سليم على صوت دقات قلبه المتسارعة، وصوت صداع شديد يضغط على رأسه. كانت آثار المشروب واضحة عليه، ولكن دماغه كان مشوشًا أكثر من أي وقت مضى. ارتدى ملابسه بسرعة، مغادرًا منزله دون أن ينظر إلى جدته أو يبادلها كلمة.

لكن جدته، التي كانت تجلس في ركن المطبخ، شعرت بالحزن يكتسح قلبها. إنها المرة الأولى التي يعاملها فيها حفيدها بهذا الجفاء، بعد سنوات من العناية والاهتمام. هي كل ما كانت تريده هو أن يكبر سليم في بيئة سليمة، وأن يكون الرجل المثالي الذي يُحتذى به. حلمت أن يكون مثالًا للأخلاق والإخلاص، لكن اليوم شعرت أنها فقدت هذا الحلم.

في المدرسة، وصل سليم إلى الفصل، حيث كانت ميلا تنتظره على مقربة. ما إن رأته حتى اندفعت نحوه، وكأن قلبها كان يسبقها.

"أين كنت؟ لماذا لم تحضر البارحة إلى المدرسة ؟ كنت قلقة عليك. ليس من عادتك أن تتغيب عن دروسك يا سليم." قالت ميلا بلهفة واضحة.

أجابها سليم بلهجة باردة خالية من أي مشاعر، وكأن ما كان يمر به لم يعنيها: "لم أكن في مزاج جيد للحضور."

ثم، وبنبرة جافة، أضاف: "والآن، إذا سمحتِ، لدي امتحان وأريد أن أركز. هل يمكنك الابتعاد قليلاً؟"

شعرت ميلا بالخجل الشديد، وأخفضت رأسها، وقالت بنعومة: "أه، بالطبع... أنا أعتذر."

مرت الأيام على سليم وكأنها تكرار لا ينتهي. كان يمارس نفس الروتين اليومي؛ رياضة في الصباح، دروس في المدرسة، ثم استعدادات

للامتحانات. لا شيء جديد سوى أفكاره التي بدأت تكاد تخرج عن السيطرة. كان يشعر بها تتسلل إلى عقله وتملأ قلبه شيئًا فشيئًا.

في بعض الأحيان كان يعتقد أن مشاعره تجاه ليلى مجرد فضول، أو مجرد إعجاب عابر سيتلاشى مع مرور الوقت. لكنه أدرك مع كل لحظة أنه كان يكذب على نفسه. تلك المشاعر لم تختفِ، بل نمت في قلبه أكثر، أصبحت شوقًا حارقًا يدفعه للبحث عنها في كل مكان.

كان يذهب أحيانًا إلى البار حيث تعمل ليلى، لكنه لم يكن يجدها. كلما سأل عنها، كانت الإجابة نفسها: "ليلى في عطلة لمدة شهر، إنها في فترة امتحاناتها." كانت هذه الإجابة تتكرر مرارًا وتكرارًا، لكن كل مرة كانت تزيد من إحساسه بالفراغ، وكأنها تعمق من شوقه المتزايد.

لم يعرف ماذا يفعل؛ هل يظل في هذا الانتظار؟ أم عليه أن ينسى ويكمل حياته كما كانت؟ لكنه كان يعلم في قرارة نفسه أن هذا ليس خيارًا. كان

قلبه لا يزال يصر على أن ليلى جزء من عالمه، وأنه لا يمكنه التخلي عن تلك الفكرة بسهولة.

كان سليم جالسًا في الباص، عينيه تائهتين في الزجاج، يفكر في ليلى، كما كان يفعل كل يوم. وفجأة، دخلت هي إلى الباص. كانت ليلى، بأناقتها وحضورها الذي لا يُخطئه أحد، تقف في مدخل الباص. لم يصدق سليم عينيه، كأنها لحظة حلم تتشكل أمامه. نهض بسرعة من مكانه، لم يصدق أنه أخيرًا سيقابلها بعد كل هذه الأيام من البحث.

أدار رأسها نحوه، وعينيها اللامعتين تبعثان في قلبه دفئًا غريبًا، ثم قالت بابتسامة: "هي، هذا أنت؟ يا لها من صدفة جميلة!"

شعر سليم بشوق عميق في قلبه، وقال بلهجة خجولة: "لو تعرفين كم بحثت عنك، بدون جدوى."

نظرت ليلى إليه، ولم تتوقف ابتسامتها، وسألته: "لماذا بحثت عني؟"

أجاب بصوت منخفض، ممزوج بالقلق: "عندما ذهبت إلى مكان عملك ولم أجدك، شعرت بالقلق عليك."

ضحكت ليلى، وقالت بثقة: "لا تقلق، أنا بخير. الأشرار لا يحدث لهم شيء سيء." ثم أضافت بتلك النغمة المرحة: "هههه."

قال سليم، محاولًا أن يكون جادًا: "لماذا تقولين هذا عن نفسك؟ أنتِ لستِ شريرة."

أجابته ليلى، وهي ترفع حاجبها بخفة، "ومن أدراك أنني لست شريرة؟ ربما أنا مصاصة دماء." ثم غمزت بعينها العسليتين، ذلك الغمز الذي جعل قلبه يذوب في لحظة. شعر وكأن عقله توقّف عن التفكير للحظة، ورغب بشدة في أن يقترب منها ويقبلها، لكنَّه تماسك، فهو لا يمكنه أن يتصرف هكذا. أحمَر وجهه من الخجل، وعيناه اتسعتا في اضطراب.

ثم سألته ليلى برقة: "وأين كنت ذاهبًا؟"

شعر سليم كأن لسانه قد جفّ، وكأن الكلمات لا تجد طريقها للخروج. كان كل شيء حوله يتلاشى، وتحول إلى طفل صغير أمام شخص يعرفه جيدًا، شخص يملك كل شيء في قلبه دون أن يدرك تمامًا. هل كان هذا هو الحب؟ هل هذا هو السبب الذي جعله يشعر بأن قلبه لم يعد ملكه؟

أغمض سليم عينيه بشدة، وكأنّه يحاول أن يهرب من الحقيقة التي لم يكن مستعدًا لمواجهتها. ثم قال، دون تفكير، الكلمات التي خرجت منه فجأة: "ليلى، أنا أحبك."

نظرت ليلى إليه بدهشة واضحة في عينيها، وقالت بصوت مدهوش: "أنت ماذا؟"

في تلك اللحظة، أدرك سليم حجم ما قاله. أصبح يتلعثم، وصار وجهه يتلون بالأحمر خجلاً، فماذا فعل؟ كيف قال هذا؟ حاول أن يُصحح الموقف بسرعة، قائلاً: "سامحيني، ليلى، سامحيني، أرجوك!"

لكن ليلى، التي كانت تحمل تعبيرًا هادئًا على وجهها، سألته: "لكن على ماذا أسامحك؟"

نزل سليم بسرعة من الباص، وكان يشعر كما لو أن الأرض ستبتلعه. شعر بالخجل من نفسه، وكأن كل الناس يراقبونه. بينما هو يبتعد، كانت ليلى تلاحقه، تناديه: "سليم! سليم! توقف!"

توقف سليم للحظة، وكان قلبه ينبض بسرعة كبيرة، ثم قال لها بصوت متردد: "أنا آسف. لم أفكر عندما قلتها لك."

أجابته ليلى بهدوء، وهي تقترب منه: "لا داعي أن تعتذر عن مشاعرك، يا سليم. فمشاعرنا لا يمكننا التحكم بها. إذا كنت تشعر بشيء ما تجاهي، فلا بأس بذلك."

فوجئ سليم بكلماتها. قال بصوت خجول: "حقًا؟"

أجابته بابتسامة ناعمة: "نعم، لما لا؟ أنت إنسان ظريف، وقد أعجبتني من أول يوم رأيتك فيه مع صديقك عماد في البار، هل تتذكر؟"

ضحك سليم بخفة، وقال: "بلى، أتذكر."

ابتسمت ليلى وقالت بهدوء: "إذاً، لا مشكلة في المحاولة."

حينها، شعر سليم وكأن الدنيا قد ابتسمت له أخيرًا، وقال بحماسة: "بالطبع، سنحاول."

كان ذلك اليوم بداية جديدة، لا يعلم سليم أين ستأخذه، لكن قلبه كان ينبض بأمل جديد.

مرت الأيام والشهور وسليم يغرق أكثر في حب ليلى. كانت هي الأمل الذي ينبض في قلبه، تلك الفتاة المرحة، الذكية، والمشاكسة التي أضاءت حياته. كل لحظة قضاها معها كانت تحجب عن عينيه الأحزان والآلام، وكلما كان بجانبها، كان يشعر وكأن روحه تصبح نقية تمامًا، بعيدًا عن كل شيء مؤلم.

في إحدى اللحظات الهادئة، نظر سليم إلى عيني ليلى وقال، وهو يشعر بقوة مشاعره: "هل ستبقين تحبيني دائمًا هكذا؟"

ابتسمت ليلى بعمق، وجعلت عينيها تتأمل فيه، ثم أجابت بصوت رقيق: "أنا أحبك، سليم. أحبك أكثر من أي وقت مضى."

قال سليم بحنان: "إلى آخر نفس، يا ليلى. أنتِ ملاكي، أنتِ حياتي. أنا لم أعرف الحب إلا معكِ. كنتُ تائهًا قبل أن ألقاكِ، لكنكِ أريتِني الطريق."

ضحكت ليلى وضحكة مليئة بالحب: "أنت أيضًا، سليم. وأنا أيضًا أحبك. وأتمنى أن يدوم حبنا إلى آخر العمر. أن نكبر معًا، ونشيب معًا."

قال سليم بحلم وأمل: "أتمنى ذلك أيضًا، يا حبيبتي. إلى الأبد."

كان سليم يعيش أسعد أيام حياته، فقد كان يشعر وكأن الحياة منحت له فرصة جديدة. ليلى لم تكن مجرد حبيبة بالنسبة له؛ بل كانت المستقبل الذي طالما حلم به. معها، بدأ سليم يتعافى شيئًا فشيئًا من جروح ماضيه، وبدأ يرى الجمال في أبسط تفاصيل الحياة.

لاحظت ميلا التغيير الكبير الذي طرأ على سليم. لم يعد ذلك الشاب البارد الذي لا يضحك كثيرًا، ولم يعد الشخص الذي كان يركز فقط على دراسته ورياضته دون أي حياة اجتماعية. فضولها دفعها للذهاب إليه، وسألته بابتسامة: "ما الذي يحدث معك هذه الأيام يا سليم؟ تبدو مختلفًا كليًا!"

ابتسم سليم وبدون تردد قال: "ولدت من جديد يا ميلا. صدقيني، أشعر وكأنني إنسان جديد. حتى الهواء الذي أتنفسه أصبح له طعم آخر."

ضحكت ميلا بسذاجة وسألته: "وما السبب في هذا التغيير؟" كان سليم على وشك أن يخبرها عن ليلى وعن الحب الذي أعاد النور إلى حياته، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة وقال ببساطة: "أردت أن أتغير."

شعرت ميلا بسعادة غامرة، فقالت له بمرح: "أحببتك أكثر بهذا التغيير!" لكنها لم تدرك أن كلماتها لم تحمل نفس الصدى في قلب سليم.

نهض سليم ضاحكًا وغادر الصف دون أن يعير حديثها المزيد من الاهتمام. بقيت ميلا في مكانها، تراقب خطواته بحب خفي، ثم همست لنفسها: "هل يدرك كم أحبه؟"

لكن خلفها، كان عماد يراقب كل شيء بابتسامة ساخرة. قال لها بصوت منخفض وهو يميل نحوها: "لا تكوني غبية يا ميلا. أنت وسليم لا يمكن أن تكونا معًا."

نظرت إليه بغضب وقالت بتحدٍ: "ولماذا لا؟"

رد عليها بلامبالاة: "لأن سليم لديه حبيبة بالفعل."

تفاجأت ميلا، وقالت بسخرية: "أي حبيبة هذه؟ أنا أراه كل يوم. هو لا يتحدث إلى أي فتاة غيري!"

ابتسم عماد بخبث وقال: "ربما لأنك غافلة. الحبيبة التي أتحدث عنها لا تدرس معنا في المدرسة نفسها. ظننتك أذكى من هذا يا ميلا."

قالت ميلا وهي ترفع حاجبيها بتحدٍ: "أنا لا أصدقك يا عماد. أنت تغار من علاقتي بسليم فقط، وتحاول زرع الشك في قلبي. تريدني أن أفتعل المشاكل معه وأبعده عني!"

ضحك عماد بسخرية وأضاف: "إن كنتِ لا تصدقينني، يمكنني أن آخذك لمقابلة حبيبته. هل لديك الجرأة؟"

نظرت إليه ميلا بتحدٍ وقالت: "حسنًا، لنثبت صدقك. سأذهب معك. لكن أخبرني، ماذا ستربح من كل هذا؟"

تغيرت ملامح وجه عماد، وقال بثقة ممزوجة بشيء من الحزن: "لا أريد أن تبني أحلامًا على أوهام، ولا أريدك أن تتعلقي بشخص لا يبادلك الحب. أريدك أن تتجنبي الألم."

نظرت إليه ميلا باستغراب، وكأنها تلتقط نبرة غريبة في صوته. قالت ببطء: "وما دخلك أنت في ذلك؟ لماذا يهمك إن تأذيتُ أنا؟"

تجمد عماد للحظة، وكأنها ألقت عليه سؤالًا لم يكن مستعدًا للإجابة عليه. شعر أن قلبه قد انفضح أمامها، لكنه حاول إخفاء مشاعره، وقال بنبرة مترددة: "لا أحب أن أرى أحدًا يتأذى، هذا كل شيء."

ضحكت ميلا بسخرية وأضافت: "هذه ليست إجابة مقنعة، وهذا ليس عماد الذي أعرفه. أنت من تتغذى على آلام الآخرين، ألا تتذكر؟"

ارتبك عماد، وشعر وكأنه أصبح في مواجهة مع الحقيقة التي طالما حاول دفنها. "هل يمكن أن تعرف حجم حبي لها؟" تساءل في نفسه. لطالما أحبها منذ الطفولة، لكنه عندما أدرك حبها لسليم، قرر أن يبتعد ويكتفي بمشاهدتها من بعيد.

نهض من مكانه فجأة، وكأنه قرر إنهاء الحديث قبل أن يتعمق أكثر في ضعفه أمامها. قال ببرود: "يكفي هذا الحديث يا ميلا. أراك لاحقًا." غادر المكان، تاركًا ميلا غارقة في حيرة أكبر من تصرفاته.

جلست ميلا مكانها وهي تحاول فك شفرة كلماته وأفعاله. هل كان يخفي شيئًا؟ ولماذا بدا وكأنه يهتم بها أكثر مما ينبغي؟ تساؤلات كثيرة بدأت تدور في عقلها، لكنها لم تجد لها إجابة.

في المساء، رفع عماد هاتفه واتصل بسليم. بصوت واثق سأل: "أين ستقضي سهرتك الليلة؟"

رد سليم بحماس وهو يبتسم: "ليلى تعمل اليوم مناوبة ليلية في البار. أحتاج فقط إلى رؤيتها، حتى من بعيد. يكفي أن أشبع روحي برؤيتها وهي تعمل."

ابتسم عماد بمكر وقال: "جيد جدًا. يبدو أنني سأأتي أيضًا. ربما معي صديقة."

تساءل سليم بفضول: "ومن هي هذه الصديقة؟"

ضحك عماد وقال: "ستعرف عندما نلتقي الليلة."

بعد انتهاء المكالمة، أمسك عماد هاتفه مرة أخرى واتصل بميلا. قال لها بلهجة عادية لكن مدروسة: "مساء الخير، ميلا. فكرت أن نقضي السهرة معًا الليلة. أريد أن أعرفك على حبيبة سليم."

ردت ميلا بدهشة مشوبة بالسخرية: "حقًا؟ هل ستثبت لي صحة كلامك؟"

أجاب عماد بثقة: "بالطبع. سنلتقي قريبًا."

أضافت ميلا بحذر: "لا بأس. لكنني لا أستطيع التأخر كثيرًا، فأمي ستنزعج إن عدت متأخرة."

قال عماد مطمئنًا: "لا تقلقي. لن نتأخر على الإطلاق."

جلس سليم في أحد المقاعد المقابلة للبار، يتأمل حبيبته ليلى بابتسامة عميقة. كانت تعمل بانشغال، لكنها بين الحين والآخر ترفع عينيها لتلتقي بعينيه، فتبادله ابتسامة خجولة تخفف عنه تعب يومه.

لكن فجأة، دخل عماد ومعه ضيفته غير المتوقعة. كانت ميلا تشع جمالًا بفستانها القصير وشعرها الذهبي الذي انسدل على كتفيها بعناية وكأنه تحفة فنية. ما إن لمحها سليم حتى اتسعت عيناه دهشة، وقبل أن يستوعب الموقف، ركضت ميلا نحوه بحماس. عانقته سريعًا وقبلته على وجنتيه وهي تقول بمرح: "سليم! إنها مفاجأة، أليس كذلك؟"

كان سليم متفاجئًا، وقال متلعثمًا: "نعم، مفاجأة لم أكن أتوقع أنكِ الضيفة التي تحدث عنها عماد."

أمسكت ميلا بذراعيه وهي تبتسم: "لا بد أنك سعيد برؤيتي، أليس كذلك؟"

تلعثم سليم محاولًا السيطرة على خجله: "بالطبع... بالطبع، سعيد جدًا."

لكن المشهد بأكمله لم يمر دون أن تلاحظه ليلى. توقفت للحظة وهي تنظر إليهما من بعيد. بدت علامات الغضب واضحة على وجهها، كأن نارًا اشتعلت داخلها. من هذه الفتاة التي تتصرف بحرية هكذا مع سليم؟ وكيف يتركها تمسك به بهذه الطريقة؟ بل وكيف يسمح لها بتقبيله أمام الجميع؟

حاولت ليلى التظاهر بأنها غير مكترثة، لكنها لم تستطع منع عينيها من العودة مرارًا إلى طاولتهم. جلس الثلاثة معًا، عماد وسليم وميلا، وبدأوا بالدردشة بحماس. ومع ذلك، كان سليم بالكاد يشاركهم الحديث، إذ ظلت عيناه تتسلل بين الحين والآخر إلى ليلى، التي كانت تتظاهر بالتركيز في عملها لكنها في الواقع كانت تراقب كل حركة في طاولتهم.

شعرت ميلا بحرارة الغضب تشتعل في صدرها عندما رأت سليم يركز نظره على النادلة، عينيه لا تكاد تبتعد عنها. قلبها كان يتألم، لكنها حاولت إخفاء مشاعرها وراء ابتسامة مفتعلة. لكن عماد، الذي كان يراقب الوضع عن كثب، اقترب منها وهمس في أذنها بحذر: "ألم أخبرك؟"

لم ترد ميلا بكلمات، بل نهضت فجأة من مكانها، دموعها تكاد تترقرق في عينيها. دون أن تفكر، توجهت بسرعة إلى الحمام، لتخفي مشاعرها وتعيد ترتيب أفكارها. وعندما دخلت الحمام، صادفت ليلى.

نظرت ميلا إليها بحدّة، ثم قالت بصوت مرتجف من الغضب: "إذن... إنها أنتِ."

ردّت ليلى بتعجب: "عفوا؟"

في لحظة من الانفجار، صرخت ميلا: "إبتعدي عن سليم ، أيتها المغفلة! أو صدقيني، ستندمين!" كان وجهها مشوّهًا من الغضب، وعيناها مليئة بالحقد.

ولكن ليلى لم تتراجع، بل استقبلت كلمات ميلا بنظرة هادئة، ثم ردت بصوت ثابت: "ماذا ستفعلين إذا لم أفعل؟"

أضافت بنبرة تحدٍّ، وكأنها قد فهمت كل شيء: "أنا وسليم نحب بعضنا البعض، ولا يمكن لفتاة مثلك أن تفرّق بيننا. وأنا أملك ثقة كاملة بسليم، لذلك لا يمكنك تحريك شعرة في شعري."

تركت ليلى الحمام بهدوء، تاركة ميلا في حالة من الغضب الشديد. وكانت ميلا تقسم في نفسها أنها لن تترك هذه الفتاة "الغبية" تهزمها في معركة الحب التي كانت تخوضها.

خرجت ميلا من الحمام، وعينا عماد تلاحقانها بكل انتباه. كانت خطواتها متعثرة، وعقلها يغرق في مشاعر الغضب والحزن. اقتربت من الطاولة حيث كان يجلس سليم، وأخبرته بلهجة مرهقة أنها بحاجة للذهاب إلى المنزل بسبب شعورها بالتعب. ابتسم سليم بابتسامة هادئة وقال: "سلامتك، ابقي طمّني عندما توصلي للبيت."

أجابت ميلا بابتسامة مليئة بالحقد، وكأنها تحاول إخفاء الألم وراء هذا القناع: "بالطبع." ثم غادرت مسرعة.

نظر عماد إلى سليم وقال: "يجب أن ألحق بها وأتأكد إذا كانت بخير، سأوصلها للمنزل." رد سليم بثقة: "خير ما تفعله، يا صديقي."

ركض عماد للحاق بميلا، التي كانت تسير ببطء، وكأنها تكاد تنهار تحت وطأة مشاعرها. كانت دموعها تتساقط بغزارة، كما لو أن السماء نفسها تبكي معها. نادى عليها مرارًا، لكنها لم تلتفت إليه.

حتى أمسك بها من كتفها فجأة. صرخت في وجهه: "ماذا تريد مني؟ لماذا تتبعني؟ هل تريد أن ترى دموعي لترتاح؟ ها أنا الآن، مدمرة تمامًا، والفَضل يعود لك. برافو، عماد، لقد وصلت إلى غايتك."

تحدث عماد بحزن واضح في صوته: "أنا لم أكن أريد رؤيتك هكذا. كل ما أردت أن أفعله هو أن أريك الحقيقة، حتى لا تبني أحلامًا كاذبة."

ردت ميلا بغضب متصاعد: "كنت تدعني أعيش في عالم من الأحلام... لماذا أردت تدميري؟ لماذا؟ ماذا كانت غايتك من كل هذا؟ أيها الأحمق!"

قال عماد متلعثمًا: "لكنني أنا..."

قبل أن يكمل، قاطعته ميلا بغضب شديد: "أتعلم يا عماد؟ فقط اصمت! لا أريد سماع صوتك ولا أريد رؤية وجهك، فقط اذهب ودعني وشأني. أنت دمرتني، لا أريد أن أتحدث معك بعد الآن!"

كانت كلماتها كرصاص اخترق قلب عماد المملوء بالحب. "ماذا فعلت لها؟ لماذا كرهتني؟" كان يتساءل، في حالة من الحزن العميق.

مشت ميلا مبتعدة، تاركة عماد في حزن وكآبة كبيرة.

مرت الأيام والشهور بسرعة، حتى وصلنا إلى عام كامل. لم يتغير شيء سوى أن حب سليم لليلى كان يزداد يومًا بعد يوم. وليلى، بدورها، لم تعد ترى أحدًا مثل سليم؛ أصبح هو بطلها الخارق.

لكن مع اقتراب امتحانات البكالوريا، أصبح سليم يركز بشكل كامل على دراسته. اضطر للابتعاد قليلاً عن ليلى، لكن ليلى كانت تعرف أنه يفعل ذلك من أجل اجتهاده، وقررت هي أيضًا أن تركز على تحضيراتها. كان الجميع مشغولين بالتفكير في مستقبلهم بعد هذه الامتحانات.

لكن في الظلال، كانت هناك أيدٍ خفية تخطط للأذى، أيدٍ تسعى لفرقهما، لتجعل حياتهما أكثر صعوبة. لم يعد الأمر مجرد حب، بل تحول إلى تحدٍ، وهوس...

هل ستنجح ميلا في خططها لتدمير علاقة سليم وليلى؟

خرج سليم من الامتحان وهو في قمة السعادة، فقد كانت الأسئلة في متناول يده، سهل الفهم والإجابة. كانت الأيام التي قضى فيها ساعات طويلة من المذاكرة تؤتي ثمارها أخيرًا. وبينما كان يمشي في الساحة الخارجية للمدرسة، التقى بصديقه عماد، الذي بدا عليه التوتر والانزعاج.

قال سليم مبتسمًا: "ما بك؟ لم أرك هكذا من قبل."

رد عماد بصوت منخفض: "من أين يأتون بهذه الأسئلة؟ لا أعتقد أنني كنت مستعدًا بما يكفي."

ابتسم سليم بثقة وقال: "أتوا بها من المنهج الذي درسناه طوال العام، لكنك لم تكن تحضر الدروس كما ينبغي."

"حسنًا، فهمنا، يا أبو العلم"، قال عماد وهو يتظاهر بالملل.

ثم نظر عماد إلى سليم وسأله بنبرة غير مباشرة: "هل قابلت ميلا اليوم؟"

أجاب سليم وهو يهز رأسه: "لا، لم أراها."

ثم أضاف عماد بتكلف: "أنا أيضًا لم أرها. على أية حال، أتمنى أن تكون قد قدمت جيدًا في الامتحان."

لكن سليم نظر إليه بابتسامة عريضة وقال: "وما علاقتي بميلا الآن ؟ هي لا تهمني كل تركيزي على ليلى. سأذهب الآن لألقاها."

في تلك اللحظة، كانت ميلا واقفة خلفهما تمامًا، مستمعة لكل كلمة قالها سليم. شعرت بوخزة في قلبها، وبغضب يشتعل في صدرها. لكن، على الرغم من كل شيء، تمالكت نفسها بحذر. قالت في نفسها: "لا يجب أن أفسد كل ما خططت له حتى الآن. سأنتظر الوقت المناسب."

عندما جاء يوم النتائج، كان الجميع في حالة من الترقب الشديد. سليم، الذي كان في غرفته، لا يستطيع أن يخفف من حماسه. فجأة، فتح الباب وركض نحو جدته، يصرخ: "جدتي! جدتي! لقد نجحت! فعلتها!"

انفجرت جدته من الفرح، وابتسمت ببراعة وهي تردد: "الحمد لله، الشكر لله! كل هذه السنين من الانتظار كانت تستحق هذه اللحظة!"

احتضن سليم جدته، وقبّلها على جبينها قائلاً: "شكراً لكِ يا حبيبتي، لولاكِ لما أصبحت ما أنا عليه اليوم. أنتِ من جعلت حياتي ذات طعم آخر."

نظرت إليه الجدة بعينين مليئتين بالحب وقالت: "وأنتَ يا عزيزي، كنت هدية الله لي، أنت نورت حياتي بوجودك."

ثم، ابتسم سليم وقال: "الآن، يجب أن أذهب لأبارك لأصدقائي!"

"بالطبع، لكن تذكر أننا سنحتفل هذه الليلة!" ردت الجدة بمرح.

بينما كان سليم يتوجه نحو أصدقائه لتهنئتهم، كانت ليلى تعمل في متجر الملابس، غارقة في نشاطها اليومي، بينما عماد كان يستمتع بوقته في الصيد أو السهر مع الفتيات في البارات. أما ميلا، فقد كانت تراقب عن كثب، تتابع كل تحركات الحبيبين بعين لا تفوت شيئاً. كانت تعلم أن اللحظة التي ستكشف فيها الأسرار باتت أقرب من أي وقت مضى، وأن كل شيء سيكون على وشك الانفجار.

توجه سليم أولًا إلى محل الملابس حيث تعمل حبيبته ليلى. دخل بابتسامة عريضة وقال: "أنستي، بارك لي!" فتفاجأت ليلى وقالت بلهفة: "هل خرجت النتائج؟ لماذا لم يخبرني أحد؟ يا إلهي، أنا لم أطلع على نتيجتي بعد!" بدأ القلق يظهر على وجهها، وعينها تغرورقان بالدموع.

لكن سليم، الذي عرف كيف يهدئ من روعها، قال لها بلطف: "لا تقلقي، سنشاهدها معًا." بسرعة، فتح الموقع وسجل اسمها ورقمها السري، وأخيرًا ظهرت النتيجة. أغلقت ليلى عينيها بشدة وكأنها لا تريد رؤية النتيجة، لكن سليم انفجر قائلاً: "أنتِ ناجحة، يا حبيبتي! لا أصدق!"

تتالت كلمات سليم: "أخبرتكِ أن تعبكِ لن يذهب سدى." ليلى، التي لم تستطع تصديق ما سمعته، قالت بلهفة: "هل سنذهب إلى الجامعة يا سليم؟" أجابها بسعادة: "نعم، بالطبع، سنذهب معًا."

بينما كانت الفرحة تعم المكان، قال سليم معتذرًا: "يجب أن أغادر الآن، سأذهب لألتقي بصديقي عماد، يبدو أنه لا يعلم بشيء بعد."

أضافت ليلى بحزن: "حسنًا، لكننا سنحتفل الليلة، أليس كذلك؟" فأجابها سليم مبتسمًا: "لا أستطيع الليلة، لقد وعدت جدتي." ثم ابتسم وقال: "لدي فكرة رائعة. ما رأيك أن تحتفلي معنا في البيت؟ ومن خلالها، سأعرفكِ على جدتي."

وافقت ليلى بحماس، وقالت: "بالطبع."

وبعد أن ودعها، خرج سليم من المحل واتصل بصديقه عماد قائلاً: "أين أنت، أيها الأحمق؟" فكان رد عماد ساخرًا: "هل احترقت المدينة؟ لماذا تتصل بي الآن؟"

أجاب سليم بحماسة: "لقد ظهرت النتائج!" فقال عماد بلامبالاة: "مبروك عليك يا زعيم." ثم سأل سليم: "وأنت، هل نجحت؟" فرد عماد: "هل يبدو لي شخص ناجح؟" لكن سليم، الذي كان مصرًا على معرفة نتيجة

صديقه، قال: "أعطني الآن رقم تسجيلك ورقمك السري وسأرى لك بنفسي." فاستجاب عماد قائلاً: "حسنًا، بما أنك مصر كثيرًا..."

رأى سليم نتيجة صديقه على الشاشة، وعينيه تكاد لا تصدقان ما تراه. اتصل على الفور قائلاً: "آسف يا صديقي، لكن يبدو أنهم أخطأوا في نتيجتك!"

رد عماد بنبرة هادئة، وكأن الأمور لا تهمه: "لقد أخبرتك يا سليم، ليس هناك داعٍ لأن ترى. أنا أعلم تمامًا أنني رسبت، ولا بأس بذلك."

ضحك سليم، ثم قال ساخرًا: "لا أدري كيف أخطأوا في نتيجتك وجعلوك ناجحًا!"

بدأ عماد يستوعب الموقف، وفي البداية بدت عليه الحيرة: "هل تتكلم بجد؟"

أجاب سليم بابتسامة واسعة: "بالطبع، يا غبي! مبروك عليك، يبدو أنك لن تتركني، ستتبعني إلى الجامعة!"

ثم انفجر عماد ضاحكًا وهو يصرخ بفرحة كبيرة: "أووووه! أنا ناجح! أنا ناجح!"

أضاف بسرعة: "أين أنت يا سليم؟ ابقَ في مكانك، سأصل إليك فورًا!"

لحق عماد بصديقه سليم وهو يبتسم قائلاً: "لقد أخبرت أمي بهذا الخبر، وهي لم تصدق نفسها. ذهبت لإخبار جميع الجيران، وتريد أن تعد لي وليمة شرف لهذا النجاح، وأنت بالطبع ضيف في هذه الوليمة."

ابتسم سليم للحظة، لكن سرعان ما اختفى ابتسامه، كأن شيئًا غريبًا قد طرأ عليه. بدأ يشعر بشيء قديم داخل قلبه يشتعل مجددًا، كأنه كان خامدًا طوال الوقت.

نظر عماد إلى صديقه، وعيناه مليئتان بالقلق: "ما بك؟ لماذا اختفت فرحتك فجأة؟"

قال سليم بحزن: "مرت سنوات طويلة عشت فيها الفرح والحزن وحدي. تمنيت لو كانت معي في لحظات الفرح والحزن. تمنيت أن تكون هنا، تفرح معي بهذا النجاح، لكن يا ليتها كانت هنا..."

رد عماد بحزن: "لا تحزن يا صديقي، لا تنسى أنها كانت معك دائمًا في قلبك. أنت قطعة منها، ابنها الوحيد."

ضحك سليم بسخرية وقال: "قطعة منها؟ وابنها الوحيد؟ لو كنت كذلك لما تركتني في أمس الحاجة إليها. أكتفي بالتحسر الآن... يجب أن أنسى هذا وأترك نفسي للاستمتاع بلحظة سعيدة دون أن ألوثها بأفكار سيئة."

ابتسم عماد بخفة وقال: "هذا هو صديقي الذي أعرفه، قوي رغم كل شيء."

ثم حاول أن يغير الموضوع قائلاً: "هل سمعت عن ميلا؟ أعني هل نجحت أم رسبت؟"

قال سليم مترددًا: "في الحقيقة، لم أتصل بها. لقد تغيرت كثيرًا، ولم أعد أرغب في مصادقتها."

قال عماد بنبرة حانية: "هي لم تعد تتحدث معي أيضًا. أرجوك يا سليم، اتصل بها فقط لتطمئن عليها."

رد سليم بتهكم: "لا أريد، أصبحت مزعجة جدًا."

أجاب عماد: "من أجلي، سليم."

قال سليم بحيرة: "حسنًا، لا تتوسل. سأتصل بها."

بعد عدة رنات، أخيرًا أجابت ميلا بصوت خافت، وكأنها كانت تنهار تمامًا.
قالت بصوت منخفض: "سليم، هل هذا أنت؟"

قال سليم: "ميلا، لماذا تبكين؟"

أجابت بصوت ثقيل لقد رسبت يا سليم ...

سليم محاولًا تهدئتها: "لا تقلقي يا ميلا، حتى إذا رسبتِ، يمكنك النجاح في العام المقبل. فقط اعملي بجد ولا تيأسي."

ميلا، وهي تحاول أن تسيطر على دموعها، أجابت بصوت ضعيف: "يبدو أنك نجحت أنت. مبروك عليك."

قال سليم بصوت هادئ، محاولًا تهدئتها: "نعم، نجحتُ أنا وليلى وحتى عماد أيضًا "

لكن ميلا ردت بصوت مكسور، كأن الكلمات تكاد تنزلق من بين شفتيها بصعوبة: "أوه، إذاً أنا الفاشلة الوحيدة بينكم. حسنًا، مبروك عليكم."

شعر سليم بالألم في قلبه وهو يجيبها: "أرجوكِ لا تقولي هذا. أنتِ لستِ فاشلة."

لكن ميلا لم تتحمل المزيد، وأغلقت الهاتف في وجهه بعصبية، وكأن قلبها تمزق إلى قطع صغيرة. ثم قالت في نفسها "وداعًا، سليم." أغرقت نفسها في بحر من الدموع، كأن كل شيء كان ينهار حولها.

قال سليم لعماد بتعاطف، وهو يحدق في الشاشة بصمت: "هي ليست بخير. كانت تبكي، ويبدو أنها رسبت. المسكينة."

أجاب عماد بحزن: "لو كان بإمكاني، لأهديتها نجاحي."

ضحك سليم ساخرًا وهو ينظر إلى صديقه: "أنت غارق في الحب يا عماد، حتى أنك أصبحت تتمنى أشياءً غريبة."

خرجت ليلى من المحل مساءً وهي تشعر بسعادة غامرة تغمر خطواتها، لطالما راودها حلم أن تتعرف على عائلة سليم، وها هو اليوم قد أتى أخيرًا. خطواتها كانت خفيفة، وكأنها تسير فوق سحابة، بينما ترسم ابتسامة رضا على وجهها.

لكن فجأة، اخترق صوت غريب سكون الشارع الخالي.

"مرحبا يا ليلى، كيف حالك؟"

تجمدت خطواتها، وارتعدت أوصالها. التفتت ببطء، لتجده واقفًا أمامها؛ ظلّه طويل يمتد أسفل الأضواء الخافتة. نظرت إليه بدهشة وقلق:

"أنت! ماذا تفعل هنا؟"

اقترب منها بخطوات هادئة وواثقة، وكأنه صيّاد أحكم قبضته على فريسته. عينيه تقدحان شررًا تحت ضوء المساء البارد. أمسك بمعصمها فجأة، همس بصوت خافت ملأه التهديد:

"أخبرتك سابقًا... إن اختبأتِ في جوف الأرض، سأجدك."

صرخت ليلى بفزع، تحاول تحرير يدها من قبضته:

"اتركني... إذا لم ترحل الآن، سأصرخ بأعلى صوتي!"

توقف الرجل قليلًا، ثم أطلق ضحكة خافتة وإبتسامة ماكرة، وكأن كلماتها لم تمسّه أبدًا. أرخى قبضته فجأة وقال بصوت أقرب للوعيد:

"سأتركك الآن... لكن ليس للأبد. سأعود... من أجلك يا حلوتي."

غادر وهو يجر معه ظلّه الطويل الذي اختفى مع أضواء الشارع الخافتة. أما ليلى، فقد سقطت على الأرض منهارة، ترتجف كعصفور مبتلّ وسط عاصفة. عيناها الواسعتان لم تصدقا ما رأته، ولا عقلها المذعور تمكن من استيعاب ما حدث. كان عليها أن تفكر... ماذا ستفعل الآن؟!

: .....

جلست ليلة في غرفة واسعة تفوح منها رائحة العراقة، مع أنفاس من عبق الزمان. منزل عائلة سليم بدت كأنها من عالم آخر؛ الأثاث الفاخر، والسجاد المطرز، وتفاصيل المكان التي تحمل ثقل الزمن. لم تكن ليلة تدري كيف تتصرف، فكل خطوة وكل نظرة كانت أشبه بامتحان غير معلن.

رحبت بها الجدة بلطف مُفاجئ، "أهلًا بكِ، تفضّلي، اجلسي... كأنكِ في بيتك." كان صوتها هادئًا، لكنه يحمل قوة غريبة. ابتسامة الجدة لم تُخفِ حدة ملامحها التي خبرت الحياة، ولكنها مع ذلك منحت ليلى شيئًا من الراحة وسط ارتباكها.

ليلى جلست على الكرسي كما لو كانت صنمًا. الخوف كان يكسو ملامحها رغم محاولاتها للتماسك. رأسها كان يضج بضجيج أفكار لا تُطاق؛ كيف ستتحدث؟ ماذا لو سألوا عن أشياء تجهلها؟ المستقبل أمامها كان أشبه

بكتاب مُغلق، يحمل رسائل كثيرة لم تجرؤ على فتحها بعد. كل كلمة كانت تفكر فيها تختلط بشعورها المتزايد بالصداع؛ ألم حاد يضغط على جبينها، لكن ما كان أشد قسوة هو الخوف... خوف من القادم الذي يبدو كظل غامض يترقبها من بعيد.

"هل أنت بخير، عزيزتي؟" سألت الجدة بصوت يفيض اهتمامًا. رفعت ليلة عينيها بصعوبة وأجابت بابتسامة باهتة، "نعم... فقط أشعر بالقليل من التعب."

جلس الصمت يملأ المكان كأنه كائن ثقيل، بينما الجدة تجلس بوقار تراقب ليلى بعينين تفيض تساؤلًا. فجأة سألت بصوت لطيف لكن حاد: "كيف حال والديكِ يا ابنتي؟"

تجمدت ملامح ليلى للحظات، كأن السؤال اخترق جدار قلبها. التفتت تلقائيًا إلى سليم الذي كان يجلس إلى جانبها. نظرت إليه بعينين تائهتين

تحملان سؤالًا صامتًا: ألم تخبرها؟! لكن سليم رد عليها بإيماءة خفيفة من رأسه وكأنه يقول: لا، لم أخبرها.

أحست ليلى أن الطاولة التي تجلس عليها قد ضاقت فجأة. عادت بنظرها إلى الجدة التي كانت ما تزال تنتظر إجابتها. حاولت ليلى التظاهر بعدم سماع السؤال، لكنها لم تستطع. ازدردت ريقها بصعوبة، وكأن الكلمات علقت في حلقها.

الجدة أعادت السؤال بصوت هادئ، لكن فيه نغمة نافذة: "وماذا يعمل والدك؟"

أحسّت ليلى وكأنها وقعت في فخ لم تكن مستعدة له. رفعت عينيها وقالت بتردد وبصوت خافت متلعثم: "في الحقيقة يا جدتي... يبدو أن سليم لم يخبرك... الحقيقة هي..." لكنها لم تُكمل؛ الكلمات كانت تهرب منها كما لو أنها رماد في مهب الريح.

لكن سليم قاطعها، وكأنه يريد إنقاذها من دوامة القلق التي بدت واضحة على وجهها. قال بصوت هادئ لكنه حاسم: "جدتي، ليلى يتيمة. لم يكن لها أب أو أم منذ طفولتها. لقد تربت في الميتم."

في تلك اللحظة، حل الصمت مرة أخرى، لكنه كان أثقل من ذي قبل. نظرت الجدة إلى ليلى نظرة طويلة وغريبة، كأنها تدرسها بعمق أو تحاول استيعاب ما سمعته للتو. لم تقل شيئًا للحظات، لكن ملامحها تغيّرت؛ لطافتها المعتادة تراجعت لتكشف عن شيء أكثر صرامة.

ثم أخيرًا، بابتسامة باردة وصوت يحمل معانٍ مبهمة، قالت: "جيد يا سليم... أحسنت الاختيار."

كانت الكلمات عادية في ظاهرها، لكن وقعها كان ثقيلًا على قلب ليلى. شعرت أن هناك رسالة مخفية لم تستطع فك شفرتها بعد. وجهها ازداد قلقًا، ومشاعرها بدأت تتدافع كأمواج بحر هائج، بينما ظلت الجدة تراقبها بنظرة غامضة لم تستطع تفسيرها.

نهضت الجدة من مكانها بتأنٍ، ثم التفتت نحو حفيدها قائلة بلهجة لطيفة ظاهرها الحنان وباطنها الحزم:

"سليم، أوصل ضيفتك إلى الباب. يبدو أن الوقت قد تأخر."

تسمرت ليلى مكانها، وكأن الأرض قد سحبت ما تحت قدميها. أحست بكلمات الجدة تخترق قلبها بلطف جارح. كانت تعلم أنها طردتها، لكن بطريقة لا تخلو من التهذيب.

نهضت مشوشة الخطى، ولم تجد كلمات ترد بها على هذا الموقف. أومأت برأسها، وخرجت مسرعة من المنزل، والدموع تترقرق في عينيها. كانت خطواتها تتسارع كلما ابتعدت، وكأنها تهرب من شيء يطاردها.

سليم، الذي شعر بالغضب يتصاعد في صدره، حاول أن يلحق بها، لكن صوت جدته أوقفه حادًا كالسكين:

"إن خرجت من هذا الباب، فأنت لم تعد حفيدي!"

التفت سليم نحوها بعينين غاضبتين، وصوته يحمل خليطًا من السخرية والألم:

"ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ لماذا تكلمتِ هكذا أمامها؟"

رفعت الجدة رأسها بحزم، وأجابت ببرود:

"هي لا تناسبك يا سليم، ولا تناسب عائلتنا."

ضحك سليم بسخرية مريرة، وقال وهو يقترب منها:

"حقًا؟ لا تناسب عائلتنا؟ وهل نسيتِ من نحن؟ أذكّرك يا جدتي، نحن عائلة تحاول طمس ماضيها. ابنتك – أمي – قتلت أبي بدم بارد وهي الآن خلف قضبان السجن. هل تعلمين ما كان سيحدث لو عرفت ليلى بهذه الحقيقة؟ كانت هي التي ستخجل مني، وليس العكس!"

تغيرت ملامح الجدة إلى الصرامة، وصوتها هذه المرة كان أكثر قسوة:

"لا ترفع صوتك أمامي يا سليم. لن أسمح لك بالدفاع عن تلك... اللقيطة!"

نظر سليم إليها بغضب ومرارة، وتقدم نحو الباب قائلاً بنبرة هادئة تخفي وراءها عاصفة:

"وأنا ماذا أكون إذًا؟ لا تنسي يا جدتي أنني ابن مجرمة كما تقولين."

فتح الباب بقوة، ثم خرج دون أن يلتفت خلفه، تاركًا جدته جالسة في حيرة وذهول، تتساءل عمّا فعلته لتصل الأمور إلى هذا الحد.

خارج المنزل، كان الليل يلف المدينة، بينما ليلى تركض بخطوات مضطربة، ودموعها تنهمر بلا توقف، وكأنها تحاول الهروب من كل شيء... ومن نفسها

سقطت ليلى على الأرض، جسدها يرتجف ودموعها تنهمر بغزارة.

كانت تحاول استيعاب ما حدث، لكن عقلها المثقل بالأفكار يرفض أن يهدأ. تساءلت بصوت متهدج بالكاد تسمعه الريح:

"ماذا فعلتُ لأستحق كل هذا؟ هل كان ذنبي أنني يتيمة؟... أهذا سبب كل ما يحدث لي؟"

انهمرت دموعها بغزارة أكبر، وبدأت شهقاتها تعلو وهي تدفن وجهها بين ركبتيها. ظلت على حالها لدقائق، حتى شعرت بظل يقف أمامها، ثم بيد قوية ترفعها بلطف من على الأرض.

انتفضت من لمسته، ورفعت رأسها لتجد ذلك الظل الغريب مجددًا أمامها. كان يقف ببرود تام، ملامحه غامضة وابتسامته الساخرة المعتادة مرسومة على وجهه.

مسحت ليلى دموعها بيد مرتجفة، وهتفت بصوت يملؤه الغضب واليأس:

"أنت مجددًا؟! ماذا تريد مني؟!"

مال نحوها قليلًا، وصوته يتغلغل كسمٍ بارد في أذنها:

"أرأيتِ يا ليلى؟ لا أحد يريدك غيري... لا أحد."

نظرت إليه بعينين تملؤهما الكراهية، وقالت بحدة:

"لكنني لا أريدك! دعني وشأني!"

ضحك الظل ضحكة قصيرة، لكنها كانت كفيلة بزيادة ارتباكها، ثم ردّ بسخرية:

"هل نسيتي يا ليلى؟ هل عليّ أن أذكّرك دائمًا؟"

صمت قليلًا، ثم أضاف بنبرة تحمل تهديدًا خفيًا:

"ما رأيكِ... أن نخبر الجميع؟"

تراجعت ليلى خطوة إلى الوراء، وصوتها هذه المرة يرتجف من الخوف:

"بماذا ستخبرهم هل ستخبرهم بشأن قذارتك أو وسخك هيا أخبر الجميع فأنا لست خائفة منك بل هذه المرة سأذهب بنفسي و أخبر الشرطة لتعتقلك !"

قهقه الظل عاليًا، كأنه سمع نكتة مضحكة للغاية، ثم نظر إليها ببرود قاتل وقال:

"يا لسذاجتكِ، يا ليلى. كل هذا الوقت ولم تعرفيني بعد؟ أنا لا أُهدَّد... بل أُهدِّد."

ظل صوته يتردد في رأسها وهي تحدق به مشدوهة. كانت كلماته كفيلة بأن تحطم ما تبقى من قوتها، لكنها حاولت أن تحافظ على تماسكها، بينما الظل يقف هناك بثبات، كأنه يراقب انهيارها بصمت...

اقترب منها مجددًا، وقال بصوت جاد:

"ليلى، أنتِ تعلمين أن ما حدث في ذالك اليوم ..."

قاطعتْه ليلى بشدة، وقد بدا عليها التوتر والغضب:

"أسكت! أسكت! لا أريدك أن تتحدث."

ردّ بصوت منخفض لكنه مصمم:

"ولكن..."

أجابته بصرامة، ناظرة إليه بنظرة حادة:

"قلتُ لك، لا أريدك أن تتحدث! أصمت فقط!"

حسنا سأصمت لكن ليس كثيرا سيأتي يوم لن أتوقف فيه عن الكلام و حينها أنت لن تستطيعي إسكاتي

غادر و تركها وسط دموعها و حيرتها ...تفكر كيف ستتخلص منه

في مساء هادئ تخللته أصوات الرياح التي تعصف بأوراق الأشجار، كان سليم جالسًا في مكتبة الجامعة، منهمكًا بين كتبه وأوراقه. أنهى ملاحظاته وأغلق دفاتره على عجل، فقد اقترب موعد انطلاق آخر باص. وبينما كان يضع كتبه في حقيبته استعدادًا للرحيل، رن هاتفه فجأة.

أجاب بسرعة، فسمع صوت ليلى المرتجف على الطرف الآخر.

"سليم..." قالت بصوت خافت، كأنها تحاول إخفاء خوفها، "أنا لست بخير."

شعر سليم بقلق عارم، توقف لوهلة وسأل بصوت مضطرب: "ماذا يحدث يا ليلى؟"

أجابت وهي تحاول السيطرة على ارتجافها: "لا أعلم... أشعر أن أحدهم يراقبني... أنا خائفة جدًا يا سليم، وأشعر أن شيئًا سيئًا سيحدث لي هذه الليلة."

لم يحتمل سليم سماع كلماتها المتوترة، فانتفض واقفًا، وهو يقول بحزم: "لا تقلقي، أنا قادم حالاً. لن أدعك وحدك، مسافة الطريق وأكون عندك."

ترك المكتبة بسرعة، هرول نحو باب الجامعة، وأوقف أول سيارة أجرة صادفها. الطريق بدا طويلًا رغم أن عقارب الساعة كانت تتحرك ببطء. مشاعر القلق تلاعبت بعقله، ويداه لم تفارق هاتفه، يحاول الاتصال بليلى دون توقف. لكن، ما من إجابة.

وصل إلى حي ليلى أخيرًا. دق باب منزلها بقوة، مرة تلو الأخرى، لكنه لم يسمع سوى صدى دقاته في الشارع الخالي. أخذ هاتفه مجددًا وحاول الاتصال بها، لكن صوت الرنين كان يتكرر بلا إجابة. ازداد خوفه وتخيل أسوأ السيناريوهات.

وفجأة، تلقى رسالة نصية منها. فتحها بسرعة ليقرأ كلماتها:

"لا تقلق يا سليم، أنا بخير. عندما شعرت بالخوف، خرجت من المنزل وذهبت إلى بيت صديقتي. سأعود بعد قليل، لا تنتظرني، فقد أتأخر قليلاً."

قرأ الرسالة مرارًا وهو يحاول أن يهدئ أعصابه. شعر ببعض الاطمئنان، لكنه لم يستطع التخلص من القلق تمامًا. تنهد بعمق، وألقى نظرة أخيرة على المنزل قبل أن يعود أدراجه. استقل سيارة أجرة مجددًا في طريق العودة، لكن عقله ظل غارقًا في أفكار مظلمة.

لماذا لم ترد ليلى على اتصاله قبل الرسالة؟ لماذا لم تطلب منه المساعدة مباشرة بدلًا من مغادرة المنزل؟ كان هناك شيء غامض في الموقف، شيء لم يكن طبيعيًا.

وفي تلك اللحظة، لم يدرك سليم أن هذه الليلة كانت مجرد بداية لعاصفة جديدة ستقتحم حياتهما، وتغير كل شيء.

في الجهة الأخرى من بيت ليلى، كان المشهد غارقًا في الظلام والرهبة. ليلى، تجلس على أريكتها، دموعها تتناثر بحرقة على وجنتيها، وعينيها غارقتين في خوف عميق وقلق شديد. كل شيء حولها كان مشحونًا بالتوتر، وكأن الوقت نفسه قد توقف.

أما في الجهة المقابلة، كان الظل الطويل جالسًا براحة لا تتناسب مع حجم الرعب الذي يحيط به. عيونه الحادة كانت تراقبها بدقة، قبل أن يهمس بصوت منخفض لكنه مليء بالتهديد:

"أحسن ما فعلتِ يا عزيزتي. أتعلمين ماذا كان سيحدث لو دخل حبيب قلبك إلى هذا المكان؟"

ثم أمسك بالسكين بيديه، وبدأ يلوح بها في الهواء بطريقة جنونية، كأنه يتلذذ بكل لحظة من هذا التوتر القاتل. صوته ارتفع قليلًا، ليتحول إلى همسات ثقيلة وكأنها تهديد لا مفر منه:

"كان قد تحول إلى أشلاء، أشلاء. وكان هذا المنزل سيصبح بركة من الدماء."

كان المشهد أشبه بكابوس يلتهم كل شيء في محيطه، وكل كلمة منه كانت تزيد من عمق الرعب في قلب ليلى.

نهض من مكانه بسرعة، خطواته ثقيلة وقاسية وهو يقترب منها. ليلى، التي كانت في حالة ذهول تام، بدأت تصيح بأعلى صوتها، لكن صوته كان أقوى من صراخها. فجأة، بيديه القويتين، وضع يده على فمها محاولًا إسكاتها. همست بالكاد: "ماذا تريد مني؟". كانت عيونها تتوسل إليه بينما كانت تحاول أن تنزع يديه، لكن قبضته كانت أقوى.

أشار لها بحركة حادة أن تلتزم الصمت، ثم رفع السكين ببطء وبدأ يلوح بها بالقرب من رقبتها. كان صوت تنفسه عميقًا، مملوءًا بالغضب الممزوج بالجنون، وهو يردد بصوت خافت لكنه مسموع:

"هل ظننتِ أنكِ ستتخلصين مني بسهولة؟! هل كنتِ تعتقدين أنني سأنساكِ؟ تركتِني أهيم عشقًا بكِ طوال هذه السنين، جعلتِني أحبكِ حتى

أصبح حبي مثل المرض. وأنتِ... كنتِ تستغليني، تستهلكين طيبتي وحبي دون أن تبادلي شيئًا. لا، لم تحبيني يومًا،... ها أخبريني

كانت ليلى ترتجف، دموعها تساقطت على وجنتيها، مملوءة بالحزن والدهشة. حاولت أن تركز على كلامه، ولم تستطع إخفاء الألم في صوتها وهي تقول:

"أنا... أنا كنت أعتبرك صديقًا، أخًا لي. طوال هذه السنين، كنت أنت السند، كنت الشخص الذي يقف بجانبي. كنت أفتخر بك، كنت أقول لنفسي أنني محظوظة أن لي صديقًا مثلك، مراد... لماذا تفعل هذا الآن؟"

رد عليها بهستيريا، وكأن الكلمات تخرج منه من داخل فم مريض عقلي:

"أنا لست صديقكِ! أنا لم أكن يومًا مجرد صديق. منذ اللحظة الأولى التي رأيتكِ فيها، كنتِ بالنسبة لي أكثر من مجرد شخص، كنتِ الملاك. حاولت أن أكون معكِ بكل ما أستطيع، أن أساعدكِ، أن أكون هنا من أجلكِ...

لكن لم يكن كل ذلك من أجل الصداقة، بل لأنني كنت أرى فيكِ العشق. كنتِ طعم الحياة بالنسبة لي. والآن، يا أن تكوني لي، يا لن تكوني لغيري!"

نهض مراد من مكانه بسرعة، متجهًا إلى حقيبته التي كانت مرمية على الأرض. كان حركته مشوشة وغير متزنة، كما لو كان في عالم آخر. أخرج منها قارورة زجاجية، مليئة بماء أصفر يتماوج داخلها. رفعها أمام ليلى، وعيناه تلمعان بغرابة، وقال بصوت غريب وكأنه يردد كلمات من عالم مريض:

"في الحقيقة يا حبيبتي، لم آتِ إليكِ وأيدّي فارغتين. انظري ماذا أحضرت لكِ..."

ثم حرك يده بسرعة، مشيرًا إلى القارورة وهو يقترب منها أكثر. كان صوته يزداد انحرافًا، مملوءًا بنشوة الجنون، وهو يتابع:

"هل تعلمين ما هذا؟"

ليلى، التي كانت قد انهارت تمامًا، بدأت تبكي بحرقة. دموعها كانت تتساقط بغزارة وهي تتوسل إليه

"مراد، أرجوك، أرجوك، اتركني وشأني... لا تفعل هذا..."

ولكنه لم يتوقف، بل صرخ في وجهها بلهجة مسمومة:

"مجدّدًا! أتعلمين ما هذا؟!"

أجابته ليلى، بين صرخات متقطعة، وهي تكاد تفتقد قدرتها على التنفس:

"لا... لا... لا أعلم..."

ابتسم مراد ابتسامة مجنونة، ثم قال بنبرة خبيثة، ملامحه مشوهة بالتهكم:

"يا حلوتي، هذا بنزين..."

ثم ضحك ضحكة خافتة، تكاد تكون مرعبة في صمتها، وتابع بنبرة هازئة:

"يبدو أن هناك حفلة شواء الليلة..."

بدأ يرش البنزين في كل مكان حوله، يملأ المكان برائحة حادة خانقة، حتى على ليلى نفسها، التي كانت تصرخ بكل قوتها، تحاول الهروب من هذا الجنون الذي كان يلتهم كل شيء حولها:

"أرجوك يا مراد، لا تفعل ذلك، أرجوك، اتركيني!"

لكن مراد لم يتوقف، بل ظل يواصل، وكأن كل شيء حوله قد انتهى. نظر إليها نظرة قاسية وقال:

"أممم... أنت لم تحبيني كما كنت أريد. لذا يبدو أن الأفضل لي أن أفعل هذا..."

ليلى، في لحظة ضعف لا يمكن وصفها، بدأت تتوسل إليه بشكل يائس، تتمنى أن ينقذها من هذا الكابوس الذي وقع عليها:

"حسنًا، حسنًا... سأفعل ما تريد..."

مراد نظر إليها ببرود، وكأن كل شيء من حوله لا يعنيه، ثم قال بخفة وسخرية:

"وما أدراني أنكِ ستفعلين حقًا؟"

ليلى، التي كان اليأس قد سحقها، قالت بكل ما تبقى لها من قوة:

"سأفعل أي شيء لتصدقني، أرجوك، لا تفعل هذا!"

نظر إليها مراد بنظرة ماكرة، خبيثة، وكأن العالم حوله اختفى تمامًا. ابتسم ابتسامة مليئة بالشر، وقال بصوت خافت لكن حاد:

"إذا تزوجيني..."

ليلى، التي كانت تدرك تمامًا أنها لن تتمكن من الهروب من هذا المجنون إلا بتقديم هذه التضحية، في تلك اللحظة الحاسمة. همست بصوت متقطع، يكاد يكون صراعًا داخليًا:

"موافقة..."

مراد، الذي لم يصدق ما سمعه، وقف في مكانه للحظة كما لو أنه في حلم، ثم انفجر بالضحك، مبتسمًا بسخرية عميقة وقال:

"حقًا؟ حقًا يا ليلى؟ ستتزوجين بي؟"

أجابته بصوت شحيح، مغمورة بالحزن:

"نعم، سأفعل..."

اقترب منها مراد بسرعة، محاولا أن يقترب منها أكثر مما كان من قبل. فجأة، كما لو أنه لم يعد قادرًا على السيطرة على نفسه، احتضنها بعنف، ويداه القذرتان تلمسان جسدها بطريقة فوضوية، كأنما يريد أن يملكها تمامًا. تحملت ليلى هذا كله، كل لمسة وكل حركة مؤلمة منه، فقط لتتخلص من هذا الكابوس الذي يعيش معها.

رغم كل شيء، ابتسمت ابتسامة زائفة على شفتيها، وهي تحاول أن تبدي له كأنها راضية، رغم أن قلبها كان يكاد ينفجر.

نظر إليها، وابتسامته تغيرت إلى واحدة مليئة بالتهكم والغرور، وقال:

"حسنًا يا عروستي، اذهبي لتستحمي وتنامي. يبدو أنك تعبتي اليوم."

لكن ليلى، التي كانت تدرك جيدًا أنه لا يوجد أمان في هذا الشخص المجنون، أجابت بتمثيل كامل للسعادة، رغم ما في قلبها من ألم:

"نعم، سأفعل. وأنت أيضًا، اذهب لتستريح."

لكن في تلك اللحظة، تغيرت ملامح وجهه فجأة. أمسك بذراعها بقوة، وأوقفها عن الحركة، وكأنما اكتشف شيئًا في كلماتها. كان صوته مليئًا بالتهديد، وعيناه مليئة بالشك:

" إذا كنتِ تعتقدين أنكِ ستخدعيني مرة أخرى سأقتلك هذه المرة .."

قالت ليلى وهي تحاول أن تبدو طبيعية، على الرغم من الألم الذي يعتصر قلبها:

"لا يا مراد، أنا لن أخدعك. في الواقع، تقبلت حقيقة أنك تحبني كثيرًا، ولن أجد رجلًا يحبني مثلك. لهذا، وافقت على طلبك..."

ضحك مراد، وكأن ضحكته كانت تتناثر في المكان، مليئة بالفرح. قال، ملامحه تتسع بابتسامة قاسية:

"لقد جعلتني أسعد إنسان اليوم. صدقيني، لن تندمي أبدًا على قرارك هذا..."

أمسك بحقيبته وخرج، خطواته مليئة بالنشاط والفرح وكأن العالم ملكه، بينما كانت ليلى تبقى في مكانها، جسدها مُنهكًا من الخوف والتوتر. سقطت على الأرض، وذهنها يغرق في ذكرياتها، متخذًا طريقًا مظلمًا عبر الزمن.

بدأت الذاكرة تعود بها إلى أيامها الأولى في الميتم، إلى تلك الأيام التي كانت تبتلعها الوحدة والمرارة. كانت الصغيرة ليلى، لا يتجاوز عمرها ثماني سنوات، بين جدران الميتم الباردة، تتلقى معاملة قاسية من الجميع، معاملة ملؤها الإهمال والازدراء. كانت تشعر أن الحياة لا مكان فيها لمن هو مثلها، دون أسرة، دون محبة.

ثم جاء ذلك اليوم الذي تغير فيه كل شيء، يوم جاءت العائلة التي تبنتها. كانت السعادة تملأ قلبها حينها، حيث كانت تعتقد أنها ستُمنح فرصة

جديدة للحياة بعيدًا عن الميتم. كانت العائلة طيبة، بالأخص الأم التي كانت تعاملها بلطف، بينما كان الأب حنون و محب ، و مهتم بالطفلة ليلى .

هناك، في ذلك المنزل، التقت بمراد، ابن أخ أمها بتبني . كان في الخامسة عشرة من عمره، لكن ليلى، الطفلة البريئة، كانت تراه كأخ أكبر لها. لكن مراد الطفل المريض كان يوجد في عقله خبث من نوع أخر كانوا يلعبون معًا، يشاهدون الأفلام، يدرسون معًا، وكأنهم لا يفترقون. لكن في يوم من الأيام، أخبرها مراد أن أهله ليسوا في المنزل، وأنه بإمكانها القدوم إليه للعب ومشاهدة أفلام الكرتون كما اعتادوا.

ذهبت ليلى، تلك الطفلة التي لا تعرف سوى البراءة، لم تدرك أن ما سيحدث سيغير حياتها إلى الأبد.

في ذلك اليوم، حاول مراد التقرب منها بشكل غير لائق. وعندما أدركت ليلى الموقف، حاولت أن تبتعد عنه، لكنه تمادى في سلوكه و ضربها بشدة

لدرجة أنه قام بكسر يديها بشكل مروع و أخبر خالته أنها سقطت من أعلى الدرج وهددها ألا تخبر أحدًا عن ما حدث.

كانت ليلى تحمل هذا السر الثقيل في أعماق قلبها، خائفة من عواقب ما سيحدث، خائفة من أن تخسر كل شيء مرة أخرى. كانت تخشى على نفسها، وتخشى من أمها التي ربما لا تؤمن بها، فاحتفظت بهذا السر في داخلها.

كانت كلما إلتقت به حاول لمسها بطريقة مزعجة كانت تشمئز منه و من تصرفاته لها و أصبحت تحمل كره و حقد دفين في قلبها له

مرت السنوات، وفي يوم حزين، جاء الخبر الذي غير حياتها مجددًا: حادث مأساوي أودى بحياة والدتها وأبيها. كان الحزن يعتصر قلبها، وكأن الحياة قد أخذت منها كل شيء مرة أخرى. لكن لم يكن لديها خيار، فعادت إلى الميتم الذي كانت قد تركته، ومعها جروح عميقة لن تشفى أبدًا.

لكن مراد، الذي لم يغادر حياتها يومًا، ظل يطاردها أينما ذهبت. كان كظلها، يتبعها في كل خطوة، يملأ حياتها بالخوف والترقب.

ومع مرور السنوات، وصل عمرها إلى خمسة عشر عامًا، وقررت أخيرًا أن تضع حدًا لهذا الكابوس. طلبت من الميتم نقلها إلى مكان آخر، بعيدًا عن مراد، وبعيدًا عن ماضيها المظلم.

ومع هذا الانتقال، ظنت ليلى أنها ستكون قادرة على نسيان الماضي، لكن ذلك الماضي ظل يطاردها كالشبح، لا يفارقها، ولا يمكنها الهروب منه !

بعد عشرة سنوات...

كانت خطوات دكتور سليم هادئة وهو يمشي في رواق المستشفى مرتديًا مئزره الأبيض، يداه تتنقلان بين الملفات الطبية التي أمامه. دخل إلى مكتبه، جلس على كرسيه الوثير وبدأ يقرأ بعناية ملف أحد المرضى.

بينما هو منهمك في عمله، دخلت السكرتيرة وقالت:

"دكتور سليم، لقد أتت تلك السيدة مجددًا وتريد رؤيتك."

رد سليم دون أن يرفع رأسه:

"أدخليها، من فضلك."

دخلت السيدة بهدوء، وجلست على الكرسي المقابل لطبيب. كانت تعبيرات وجهها توحي بالقلق، والدموع كانت على وشك الانهمار.

قال سليم محاولًا خلق جو مريح:

"كيف حالك اليوم؟ هل تشعرين بتحسن؟"

لكن السيدة لم تجب فورًا، فقد بدا التوتر واضحًا على وجهها، وكأن الكلمات تاهت في حنجرتها. فجأة، بدأت دموعها تتساقط، واحدة تلو الأخرى، وكأنها لا تستطيع كبحها.

،مد يدًا نحوها وكأنه يحاول أن يخفف من وطأة الموقف:

"لا بأس يا سيدتي، لا تشعري بالقلق. أفرغي ما في قلبك، فأنا هنا لسماعك."

أخذت السيدة نفسًا عميقًا، وكأنها تحاول تجميع نفسها. بعد لحظات، توقفت دموعها وقالت بصوت خافت، محاولًة السيطرة على مشاعرها:

"لا يزال يأتي إليَّ... هو يبكي ويقول لي: أمي، لازلت حيّة، سأجن يا دكتور... أراه في كل مكان، حتى في أحلامي..."

خفض سليم رأسه قليلاً، وعيناه تتأملان السيدة بنظرة مملوءة بالتفهم. همس بصوت هادئ:

"أنتِ تعلمين جيدًا أن ابنكِ قد توفي منذ سنتين، وكل ما ترينه الآن ما هو إلا تخيلات... أرجو منكِ أن تكوني واعية لذلك."

قالت السيدة وهي تحاول إيقاف فيضان دموعها الذي عاد من جديد:

"نعم، أنا أعلم يا دكتور، ولكن لماذا لا تختفي هذه التخيلات؟ لماذا تظل تلاحقني في كل لحظة؟"

تنهد سليم بعمق، وهو يرفع عينيه إليها. كان يعرف أن هذه اللحظة لن تكون سهلة، لكن ما كان عليه قوله كان ضروريًا.

"في الواقع، لم أكن أريد أن أخبرك بهذا، ولكن الوضع أصبح أكثر وضوحًا الآن. أنا آسف، لكنني لم أعد أستطيع مساعدتك بما يكفي. يجب أن تراجعي طبيبًا مختصًا في الأمراض العقلية."

نظرت السيدة إليه بدهشة، وكأن الكلمات قد أصابتها بالصدمة، حاولت أن تخفي ردة فعلها، وقالت بحزن:

"لكنني لست مجنونة، دكتور... أنا فقط... لا أستطيع العيش مع هذا الألم."

رد سليم بهدوء، وهو يحاول أن يكون لطيفًا في كلامه:

"أعلم ذلك يا سيدتي، ولكن حالتك تحتاج إلى معالج متخصص. أرجو منك أن تأخذي هذا القرار لمصلحتك."

كانت السيدة تراقب سليم بحيرة، وكأنها لا تستطيع تصديق ما سمعته. لكن في أعماقها، كانت تدرك أن الطبيب لا يقول إلا الحقيقة.

خرجت السيدة من غرفة الدكتور سليم، ودموعها لا تتوقف عن السقوط. كلمات الطبيب كانت أشد من أي ألم آخر، فالقلب الذي تحمله كان يحترق. كانت تسير عبر ممرات المستشفى، خطواتها ثقيلة كما لو أن كل ما حملته طوال السنين قد سقط على كاهلها دفعة واحدة. لم تستطع هضم ما سمعته، وكل شيء حولها أصبح ضبابيًا، حتى وجوه الناس بدا لها بعيدة.

اتصل سليم بسكرتيرته وهو يطلب منها أن تلغي كل المواعيد المتبقية لهذا اليوم. كان يشعر بشيء غريب يتسرب إلى قلبه، شيء لم يكن يعرف كيف يفسره. كان الدكتور سليم في تلك الفترة من أفضل الأطباء النفسيين في

المنطقة، يتوافد إليه المرضى من كل مكان، ولكنه بدأ يشعر بشيء من الغرور الذي لم يكن يعترف به لنفسه. أصبح اسمه معروفًا، والناس يثقون في خبرته، لكنه كان دائمًا يشعر بأن هناك شيئًا ما يعيق فرحته بهذا النجاح.

اتصل سليم بصديقه عماد، محاولًا تخفيف بعض الوحدة التي بدأت تكبر داخله بعد وفاة جدته. كانت الجدة هي كل شيء له، كانت ملاذه الوحيد في هذا العالم، وكانت الحاضر الذي يملأ حياته بالدفء. لكن بعد رحيلها، أصبح سليم يشعر بالفراغ، وكأن جزءًا من روحه قد غادر مع وفاتها. لذا قرر أن يملأ تلك الفراغات بأصدقائه، محاولًا أن يكون اجتماعيًا كما ينصح مرضاه، حتى وإن كانت الوحدة تلتهمه من الداخل.

رن الهاتف، ليشعر بشيء من الراحة عند سماع صوت عماد على الطرف الآخر.

"عماد: مرحبًا يا سليم! كيف حالك؟"

"سليم: بخير، وأنت؟"

"عماد: أنا في أفضل حال. أتعلم؟ كنت سأتصل بك منذ قليل."

"سليم: حقًا؟ لماذا؟"

"عماد: لقد عزمتك أمي للعشاء في بيتنا الليلة."

"سليم: أوه، حقًا؟ هذا لطف منها. أخبرها أنني قادم بالتأكيد."

"عماد: نحن ننتظرك، سليم."

ابتسم سليم وهو يضع الهاتف جانبًا. كان يعلم أن هذه الدعوة قد تكون فرصة له ليشعر بالانتماء لشيء أكبر من وحدته. في قلبه، كانت هناك أمواج من الحزن تتلاطم، لكن ما كان يحتاجه في تلك اللحظة هو دفء اللقاء مع الأصدقاء.

ذهب سليم إلى منزل عماد وهو يحمل في يديه بعض الحلويات والمقبلات..

كان يشعر براحة غير معتادة وسط عائلة عماد، حتى أنه بدأ ينسى همومه وحزنه على فقدان جدته.

العشاء كان ممتازًا، والأحاديث بين الأصدقاء تجري بسهولة، مما جعله يستمتع بكل لحظة من اللقاء. كان يشعر كأنما الحياة تعطيه لمحة من الدفء الذي كان يفتقده منذ سنوات، وكان يتمنى أن لا تنتهي تلك اللحظة.

طوال حياته، وحتى عندما كان يعيش طفولته مع والديه ، لم يشعر يومًا بما يشعر به الآن، وكأن عائلة عماد كانت توفر له نوعًا من الأمان الذي لم يعرفه أبدًا.

مع مرور الوقت، وصل الليل إلى منتصفه، وكان على سليم أن يغادر. لكنه فوجئ عندما أوقفه عماد وقال بابتسامة: "أنا ذاهب إلى النادي الليلي، ما رأيك أن تأتي معي لتروح عن نفسك قليلاً؟"

سليم كان مترددًا، فالإغراء كان كبيرًا. لكنه أجاب بصوت هادئ: "لا يا عماد، أنت تعلم أنني يجب أن أستيقظ مبكرًا للعمل."

عماد ضحك وقال: "وماذا في ذلك؟ أنا أيضًا أستيقظ للعمل، فلماذا لا تأتي؟"

أجاب سليم بحزم: "عملي ليس مجرد وظيفة، عملي هو عقلي. يجب أن أكون في كامل تركيزي وقدرتي على التفكير. أنا لا أستطيع المخاطرة بفقدان هذا."

ابتسم عماد بفهم، لكنه شعر أن سليم كان يحمل عبئًا أكبر من مجرد القلق حول عمله. كان يرى في عينيه شيئًا يعكس أكثر من مجرد حرص على المهنية. لكن سليم كان قد اتخذ قراره، وفضل أن يعود إلى هدوء الليل وأفكاره التي لا تفارقه.

كان سليم غارقًا في حزنه، يشعر وكأن الحياة قد سلبت منه كل شيء جميل، وكأنها تتجاهله وتحرمه من كل ما يستحقه. كان يحاول جاهدًا أن يجد لنفسه مكانًا في هذا العالم القاسي، لكن كل ما يلمسه يبتعد عنه بسهولة. كان في صراع داخلي مستمر، وتساءل: "لماذا أنا؟ لماذا كل هذا؟"

أراد أن يصرخ بأعلى صوته، أن يفرغ كل ما في قلبه من ألم، لكنه كتم صرخته في آخر لحظة. أمسك نفسه بكل ما أوتي من قوة، لكنه لم يستطع إيقاف دموعه التي بدأت تتساقط دون إرادته. لم يحاول أن يوقف البكاء، فقد شعر أن هذا هو السبيل الوحيد ليخفف من ذلك الحزن الذي يعتصر قلبه. كان يعلم أن البكاء ليس حلاً، لكنه في تلك اللحظة كان يعتبره الطريقة الوحيدة للتنفيس عن نفسه.

ذكرياتها كانت لا تزال حية في قلبه، ملامحها محفورة في ذهنه كما لو أنها كانت هنا منذ لحظات. كان يشعر أن الوقت قد توقف عند تلك اللحظة التي اختفت فيها، وكأن شيئًا ما قد فقده إلى الأبد. كان يتمنى لو أنه لم يذهب في تلك الليلة، لو أنه انتظرها ليعرف ما حدث، لكن غباءه قد منعه من ذلك. كان يجب أن يعرف أن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث، لكنه لم يفعل شيئًا لحمايتها.

إلى الآن، لا يزال يتساءل ماذا حدث، كيف اختفت من حياته بكل بساطة، ولماذا كان عاجزًا عن منع ذلك.

استلقى سليم في سريره، والأفكار تتنازع في عقله. كان يشعر بصداع شديد لا يزول، وكأن كل ما يمر به من آلام وحيرة يضغط عليه من كل جانب. رغم ذلك، حاول أن يغمض عينيه ويتنفس بعمق، عسى أن يجد بعض الراحة في النوم، ليهرب ولو قليلًا من مشاكله وهمومه التي تلاحقه.

وفي صباح اليوم التالي،وصل سليم إلى مكتبه كعادته . لم يكن هناك ما يميز هذا اليوم عن غيره، كل شيء كان يسير كما في الأيام السابقة.

ومرت ساعات العمل بسرعة، كأي يوم آخر، إلى أن انتهت مواعيد العمل. كان سليم على وشك المغادرة، إلا أن السكرتيرة دخلت مكتبه وأخبرته أن هناك مريضة ترغب في رؤيته بشكل عاجل. شعر سليم بإرهاق واضح، وأجابها بنبرة غير متحمسة: "أخبريها أن تأتي غدًا، اليوم انتهى بالفعل، وأنا بحاجة للمغادرة."

لكن السكرتيرة لم تتراجع، وأوضحت: "دكتور، المريضة تصر على رؤيتك الآن، إنها في غاية الإلحاح."

تنهد سليم بعمق، ثم قال أخيرًا: "حسنًا، أدخليها إلي."

دخلت المريضة إلى الغرفة، امرأة في الخمسين من عمرها، تبدو هادئة ومطمئنة رغم عمرها المتقدم. كانت تحمل بين يديها حقيبة صغيرة،

وعينها تراقب المكان بحذر. عندما وقفت أمام سليم، قالت بصوت هادئ وجميل: "كيف حالك يا سليم؟"

كان سليم منهمكًا في النظر إلى الملف الذي أمامه، لكنه لم يلبث أن رفع رأسه فور سماعه لصوت المرأة، وعيناه اتسعتا في مفاجأة غير قابلة للتفسير. لأول مرة منذ فترة طويلة، شعر بشيء غريب يعصر قلبه.

أعادت المريضة السؤال مجددًا، بلطف: "كيف حالك يا سليم؟"

نهض سليم من مكانه فجأة، وقد بدا عليه الارتباك الشديد. كانت عيناه تتنقلان بين وجهها وحركات يديها، يحاول إدراك ما يحدث. صوت قلبه كان يزداد صخبًا في صدره. قال بصوت مرتجف: "من أنت؟"

صوت المريضة كان هادئًا، لكن كلماتها كانت ثقيلة على قلبه: "أنا مجرد مريضة، أحتاج إلى علاج من طبيب نفسي. أصدقائي نصحوني بك كثيرًا، فقررت أن أتي لأجرب العلاج بنفسي."

تنهد سليم بصوت عميق، وعاد ليجلس خلف مكتبه، محاولًا ضبط أعصابه. لم يكن متأكدًا إذا كانت هي أم لا، لكن ما شعر به في تلك اللحظة كان شيء لم يعتد عليه، توتر شديد لم يشعر به في حياته من قبل.

قال سليم بصوت مرتجف: "من أين نبدأ؟ أقصد، لماذا أتيتِ إلى هنا؟"

ضحكت المرأة بهدوء، وكان صوتها يحمل شيئًا من السخرية: "أيها الطبيب النفسي، يبدو أنك بحاجة لطبيب نفسي أيضًا." ثم ضحكت مجددًا وقالت: "لا أصدق، لقد نصحوني بك كثيرًا، لكنك لم تكن كما كنت متوقعًة ."

ثم أضافت بهدوء غريب، وهي تغمز بعينها: "هل ما زلت تبلل سريرك؟"

تلك الكلمات كانت بمثابة صدمة شديدة لسليم. شعور غريب غمره، اختلط بين الغضب والدهشة. لم يستطع أن يسيطر على نفسه، وقال بصوت مليء بالغضب: "لقد عرفتكِ منذ أن دخلتِ الغرفة، لكنني لم أصدق عينيّ." ثم نظر إليها بحدة وأكمل: "كيف تجرأتِ وأتيتِ إلى هنا؟"

أجابت المرأة بصوت هادئ لا يخلو من بعض اللامبالاة: "لقد أخبرتك، أتيت لأتلقى العلاج."

قال سليم وهو يضغط على أسنانه: "يجب أن تتفضلي من غير مطرود، أنا لا أستطيع مساعدتك بشيء. إرجعي من حيث أتيت."

نهضت السيدة ببطء، وقالت بصوت يحمل في طياته نوعًا من الاستهزاء: "يا له من أسلوب فظّ تعامِل به مرضاك..."

ثم أضافت بهدوء: "لكن لا بأس بهذا، أنا لست منزعجة منك. أعلم أنك ستبحث عني لوحدك، أعلم أن الكثير من الأسئلة تدور في داخلك ولن تجد الإجابة إلا عندي. أنا ذاهبة الآن، لكن ليس إلى الأبد."

ثم خرجت السيدة من مكتبه، تاركة سليم جالسًا في مكانه، غارقًا في أفكاره. كان يشعر بشعور متناقض من الغضب والارتباك. لماذا أتت الآن؟ وماذا كانت تقصد بتلك الكلمات؟ كانت الأسئلة تتراكم في ذهنه بسرعة، وهو يشعر أنه لن يستطيع العثور على الإجابة إلا عندما يواجه تلك المرأة مرة أخرى.

لماذا يحدث هذا معه دائمًا؟ بعد كل هذه السنوات، حياته لم تستقر بعد...

لقد حقق أحلامه، مهنته المفضلة، بيته الخاص، سيارته الفاخرة، ملابسه الأنيقة، احترام وحب الناس له. لكن رغم كل ذلك، كان يشعر دائمًا أن شيئًا ما ينقصه.

خرج من مكتبه، وتراقصت شياطين الدنيا فوق رأسه. لم يكن يرى شيئًا أمامه، سوى الغضب الذي يغلي في صدره.

ركب سيارته متوجهًا إلى البار، حيث كان صديقه المفضل يجلس مع كأس من النبيذ وأحزانه المتتالية.

جلس بجانبه سليم، وهو غارق في ضيقه، ثم قال بصوت مملوء بالحزن: "أنا أموت يا عماد..."

ضحك عماد بسخرية، وهو في عالم السكر، وبدأ يدندن بأغنية عابرة. نهض ليرقص، فعرف سليم أن صديقه قد غاب عن الوعي.

أمسك بكأس المشروب، وتجرعه دفعة واحدة ليذهب لعالم السكارى ، محاولًا الهروب من كل شيء. أراد أن يغادر هذا العالم، الذي بدا له أنه

يعاقبه على أشياء لا يعرفها. أراد أن ينسى، لكن كان يعلم أن النسيان ليس ممكنًا. الماضي سيظل يلاحقه، والمستقبل سيبقى مجهولًا.

نهض سليم من نومه ، وكانت رأسه تنبض بألم شديد، ضباب كثيف يملأ عينيه وكأنما كل شيء حوله يذوب في الفراغ. خطواته كانت بطيئة ومتثاقلة، وكأن كل خطوة تثقل قدميه أكثر. حاول أن يثبت نفسه، لكن الصوت الذي يدوي في رأسه كان أقوى من أي شيء حوله.

أين أنا؟ تساءل بصوت خافت، كأن الكلمات تخرج بصعوبة. كان يلمس الجدران حوله بحذر، عينه لا تستطيع التركيز على أي شيء. بدا وكأن الزمن توقف، وأنه علق بين عالمين، بين اليقظة واللامبالاة، بين الأمل الذي ضاع والماضي الذي يطارده.

توهج الضوء من بعيد، وكأنه يلوح له في الأفق، لكنه لم يكن متأكدًا إن كان ذلك حقيقة أم مجرد سراب.

سمع سليم صوتًا أنثويًا رقيقًا يتردد في أذنه من بعيد، يتسلل إلى عقله الضبابي: "سليم، هل استيقظت؟"

بدأت الرؤية تتضح ببطء، شيئًا فشيئًا، حتى بدأت ملامح المكان تظهر أمام عينيه، وكأنها تتشكل من الضباب. وعندما ركز أكثر، لاحظ وجود فتاة أمامه. كانت ذات شعر ذهبي لامع، وابتسامة جميلة تزين وجهها، وعينان كانتا تخفيان خلفهما مزيجًا من الحزن والدلع. كانت هي، ميلا.

اقتربت منه وهي تحمل كوبًا من القهوة، وقالت بصوت هادئ: "حضرت لك القهوة لتستفيق أكثر، وضعت لك حبة مسكنة لرأسك."

شعر سليم بتوتره يزداد، وهو يحاول جمع شتات أفكاره. نظر إليها وسأل بلهجة غير واثقة: "ماذا أتى بي إلى هنا؟"

ابتسمت ميلا بلطف، وسألت: "ألا تتذكر شيئًا؟"

حاول سليم أن يعيد شريط الأحداث إلى ذهنه، وعاد بذاكرته إلى الأمس. تذكر أنه كان يشرب مثل المجنون مع صديقه، وكانا يرقصان كالمجانين في ذلك البار. لكنه لا يتذكر ماذا حدث بعد ذلك.

أكملت ميلا حديثها: "اتصل بي صاحب البار لأنه كان يعرفني، كصديقة لعماد. أوصلت عماد إلى بيته، ثم أتيت بك إلى هنا لأنني لم أكن أعرف عنوانك. كنتما في عالم آخر تمامًا. سألتك مرارًا وتكرارًا عن عنوانك، لكنك لم تجبني."

سكت سليم لوهلة، يحاول ترتيب أفكاره، ثم نظر إليها بخجل وقال: "شكرًا لك."

ابتسمت ميلا مجددًا، وأجابته بصوت هادئ: "لا داعي للشكر، سليم. الجميع يمر بأوقات صعبة، وأنت لست وحدك."

نهض سليم من مكانه، محاولًا مغادرة المكان، لكن صوت ميلا أوقفه.
"أرجوك، ابقَ معي قليلاً، على الأقل لنتناول الفطور معًا."

نظر إليها سليم بتردد، ثم قال: "لا، لقد تأخرت عن العمل."

ابتسمت ميلا بحزن، "أي عمل؟ نحن اليوم السبت."

ضرب سليم رأسه بيده وهو يغمض عينيه في إحباط. "لقد نسيت تمامًا. لكن شكرًا لك على كل حال. لا أريد أن أطيل البقاء هنا، لدي أعمال أخرى."

لم تستطع ميلا الضغط عليه، فتركته يخرج بهدوء، لكنه شعرت كأنه أخذ معه جزءًا من روحها.

طوال تلك السنين، بقيت وفية له. لم تحب غيره، ولم تلتفت لأي شخص آخر، حتى أنها رفضت العديد من عروض الزواج الجيدة التي جاءت إليها. حب سليم كان محفورًا في قلبها، لا يمكن أن يُمحى.

أما سليم، فقد كان بدوره لا يريد أن تقتحم أي فتاة حياته. أحب مرة واحدة فقط، ولن يحب مرة أخرى. تركت ليلى في قلبه لغزًا آخر معقدًا، لغزًا لم يستطع حله. ومع ذلك، كان يشعر في أعماقه أنه سيلتقي بها مجددًا. كان يشعر بذلك، وهو يعلم أن إحساسه لن يخيب.

مرت الأيام بهدوء، مثل روتين ممل، لا شيء جديد فيها. كانت الحياة تسير بشكل شبه طبيعي، دون مشاكل أو صراعات... باستثناء تلك الصراعات النفسية التي لا يفارقها سليم.

كان سليم يحاول جاهدًا أن يلهي نفسه بعمله ومرضاه، وأن يغرق في تفاصيل حياته المهنية كي لا يفكر بتلك المرأة التي اقتحمت عالمه للمرة

الثانية وتركت خلفها فراغًا أكبر من أي وقت مضى. لكنه أدرك أن من الصعب أن ينسى أو يتجاهل ما حدث.

قرّر في نفسه أنه لا بد له من المواجهة، ليتخلص من عبء سنواته المضطربة. نهض من مكتبه وتوجه إلى السكرتيرة قائلاً:

"أتتذكرين تلك المرأة التي أتت الشهر الماضي وطلبت رؤيتي بشكل مستعجل؟"

أجابته السكرتيرة: "تقصد سيدة صفية؟"

قال سليم :"نعم،هي "

ثم أضافت: "لقد تركت لك هنا ملاحظة "

أمسك سليم بالورقة، وعندما فتحها كان العنوان مكتوبًا بخط يدها.

قال سليم : "إلغِ جميع مواعيدي لليوم."، ثم خرج مسرعًا.

ركب سيارته، وأثناء سيره، نظر إلى نفسه في المرآة، وكأنّه يتحقق إن كان هذا هو القرار الصحيح. ثم قال بصوت منخفض لكنه حازم: "اللعنة، سأفعلها. حتى وإن كلفني هذا حياتي. لن أعيش تحت أنقاض الماضي، سأتحرر من سجن أفكاري أخيرًا."

وصل سليم إلى العنوان، وكان قلبه يدق بشدة، ورجلاه ترتجفان كطفل صغير. خطوة إلى الأمام، خطوتان إلى الوراء، لا يستطيع التخلص من مشاعر التردد التي اجتاحته فجأة. تذكر في لحظة كل طفولته التي عاشها مع والديه، تلك الذكريات التي كانت تمثل له سجنًا حقيقيًا. بيتهم الذي كان أشبه بالسجن، باردًا، مظلمًا، كئيبًا. كان يذكر شجارات والديه التي لا تنتهي، أصواتهم المرتفعة، كلماتهم القاسية، سخرية والدته منه وكأنّه كان مجرد عبء عليها.

رن جرس الباب.

فتحت السيدة صفية الباب، ونظرت إليه كأنها غير مصدقة، ثم قالت بصوت هادئ: "علمت أنك ستأتي إليّ."

دخل سليم المنزل، الذي كان مرتبًا وجميلًا. الجو كان هادئًا، تشعر فيه بسكينة وراحة غريبة عن عالمه. جلس على الأريكة، وكان توتره يزداد مع كل لحظة تمر.

قالت صفية بابتسامة: "أرجوك خد راحتك كأنك في بيتك ، شاي أم قهوة؟"

رد سليم بسرعة وبصوت متوتر: "لماذا؟"

قالت صفية: "لكي أحضر لك الضيافة."

لكن سليم ردّ بلهجة حادة، وكأنّ التوتر قد بلغ ذروته: "لا أحتاج لضيافتك. كل ما أحتاجه هو أجوبة. أتعلمين يا سيدة صفية كم عانيت طوال هذه السنين؟ كنت أشتاق لراحة. أشتاق لسكينة. كنت أتمنى أن أنام مثل باقي الأطفال و ألعب مثلهم و أن يكون لي بيت مثلهم . لماذا؟ أجبيني!"

اخفضت رأسها، وكأن كلمات سليم أصابت قلبها، وشعرت بالذنب الكبير الذي حملته طوال تلك السنوات. ثم قالت بصوت خافت: "آسفة."

ردّ سليم بحدة، وكأن الجرح لم يلتئم بعد: "أتظنين أن كلمة آسفة سترجع لي حق السنين التي ضاعت؟ هل سترجع لي روحي؟ أم ابتسامتي؟ سترجع لي حبي للحياة؟ أم طفولتي الضائعة لا أريد أسفك، أريد أن أعرف لماذا؟"

سكتت الأم للحظة، ودموعها تسيل على وجنتيها، ثم قالت بصوت مملوء بالحزن: "لا تقلق يا بني، سأروي لك كل شيء الآن، ولن أترك في ذهنك سؤالًا واحدًا دون إجابة.

منذ سنوات طويلة، قبل أن تُخلق أنت، كنت في العشرين من عمري عندما تعرفت على والدك، صالح. أحببته بجنون، وكنت أظن أنني وجدت حب حياتي. لكن الحقيقة كانت عكس ذلك تمامًا؛ والدك لم يكن يحبني، بل كان يستغلني. كنت غافلة عن هذا الأمر، أعمى الحب بصيرتي، حتى وقعت الكارثة. اكتشفت أنني حامل في الشهر الثالث.

عندما أخبرته، فقد صوابه. طلب مني التخلص من الطفل، لكنني لم أستطع. شعرت أن هذا الجنين يتمسك بالحياة، وكأنه يريد أن يأتي إلى هذا العالم. وعندما علمت والدتي، أصيبت بصدمة كبيرة، وواجهتني بغضب شديد، لأنها اعتبرت ذلك عارًا على العائلة.

تحدثت أمي مع عائلة والدك، وتم تزويجنا على عجلة. لكن الزواج لم يكن حلًا، بل كان بداية لمعاناة جديدة. والدك لم يحبني يومًا، ولم يحبك أنت أيضًا. كان يعاملني بجفاء ولامبالاة، وكان يُشعرني بأنني مجرد عبء. أتعرض يوميًا لضغوط نفسية هائلة، ولم أكن قادرة على منحك الحب الذي كنت تستحقه كطفل صغير.

كنت أنت شعاع النور الوحيد في حياتي، لكن معاناتي النفسية جعلتني عاجزة عن إسعادك. كنت أرى فيك أملًا، لكنني كنت غارقة في ظلامي الخاص. والدك لم يكن يساعدني أبدًا، كان كثير السهر، بعيدًا عنا تمامًا. وفي كل مرة يسمعك تبكي، كان يتذمر ويصرخ.

شعرت بالوحدة الشديدة. بدأت أواجه صعوبة في تحمل والدك، ومع مرور الوقت أصبحت علاقتنا تزداد سوءًا. كنا نتشاجر باستمرار، حتى أتى ذلك اليوم الذي سمعت فيه والدك يتحدث مع امرأة أخرى، خطط للهروب معها والزواج بها.

عندما واجهته، لم يُنكر ذلك. قال لي بكل برود إنه لم يحبني يومًا، وإنني من أجبرته على الزواج، وإنه يكرهني. شعرت وقتها أن حياتي كانت خطأً كبيرًا، وأن كل السنوات التي قضيتها معه كانت مجرد وهم".

"لقد أنهى حياتي بقراره هذا، وأحكم عليا بالموت . لذلك، في لحظة ضعف وغضب، فعلت ما لم أكن أتصوره. لم أفق مما حدث إلا عندما سمعت صوتك و أنت تبكي..."

أخفضت صافية رأسها، وكأنها تحمل ثقلًا لا يُحتمل. تابعت بصوت مرتجف: "وجدت نفسي بين جدران السجن وحيدة، لكن صدقني يا بني، طوال تلك السنوات لم أفكر إلا بك. كنت أندم كل يوم على ما حدث، وأتمنى لو أنني تصرفت بحكمة أكبر. تمنيت لو أنني عشت بجانبك، أراك تكبر وأكون أمًا لك بحق، لكن الأمور خرجت عن سيطرتي."

توقفت للحظة، كأنها تبحث عن كلمات تشرح بها شعورها دون أن تثقل عليه أكثر.

جلس سليم بصمت، يستمع بتركيز، وقلبه يموج بمشاعر متضاربة. لقد شعر بالشفقة تجاه أمه وما عاشته، لكنه في الوقت ذاته لم يستطع تجاوز ما سببه هذا الماضي من جراح غائرة في حياته.

بصفته طبيبًا نفسيًا، فهم حجم الألم الذي عاشته والدته، وتقبل أنها كانت ضحية ظروف قاسية. لكنه أيضًا أدرك أنه من الصعب أن يمحو تلك الجراح بسهولة.

أخذ نفسًا عميقًا، كمن أزاح عن صدره ثقلًا عمره سنوات. أخيرًا، فهم لغز طفولته وأسباب كل ما مر به. لكنه لم يستطع تجاهل الشعور العالق في قلبه، الشعور بأنه كان محور تلك المعاناة.

لأول مرة، أدرك أن حياته كانت نتيجة قرارات خاطئة كان هو سببها ، أثرت على والديه. ربما كان مجرد رابط جمع بين شخصين لم يكن بينهما

حب أو تفاهم. كان هذا الإدراك بدايةً لفهم أعمق لحياته، وخطوة نحو البحث عن سلامه الداخلي.

سكت سليم لوهلة، متأملًا حديث والدته الذي كان مليئًا بالألم والندم، ثم تابعت بصوت خافت:

"سليم، لقد أرسلت لك الكثير من الرسائل، كنت أحاول دائمًا أن أشرح لك كل شيء. أردت أن أبرر لك أفعالي، لكن جدتك، لم تكن تسمح بذلك. أخبرتني أنها كانت تمزق الرسائل فور وصولها."

تنهدت بصعوبة، وبدت وكأنها تغرق في بحر من الذكريات: "صبرت على قسوة السجن فقط من أجلك، كنت أنت الأمل الذي جعلني أتحمل. لكن معاناتي لم تكن فقط خلف القضبان. تخلى عني الجميع، حتى والدتي التي كانت سببًا في كل ما حدث. كانت ترفض فكرة طلاقي من والدك. كلما فكرت في الانفصال عنه، كانت تهددني بأنها لن تقف بجانبي. جعلتني أصدق أن المرأة القوية هي التي تكسب زوجها بأي طريقة، وأن الحب

يمكن أن يُصنع، لكن هذا لم يكن صحيحًا. لم أكن سعيدة أبدًا، وكانت النتيجة أنني فقدت كل شيء. وعندما خرجت أخيرًا من السجن، اكتشفت أنها قد رحلت عن الدنيا. ذهبت إلى قبرها وقرأت الفاتحة على روحها، لكن... لم أستطع أن أسامحها."

نظر سليم إليها بعينين تحملان الحزن والغضب، ثم ضحك بمرارة وقال: "وأنا أيضًا، يا أمي... لا أستطيع مسامحتك."

ساد الصمت بينهما، صمت ثقيل كأنما يحمل كل سنوات الألم التي عاشها كلاهما. لم تكن الكلمات كافية لملء الفجوة بينهما، لكنه كان يعلم في داخله أن هذا اللقاء قد يكون بداية جديدة، أو نهاية أخرى لا رجعة فيها.

في زاوية منزل آخر، كانت ليلى تجلس في ظلام خافت، تحدق بصمت نحو مراد، زوجها الذي تزوجها رغما عنها . كان شعورها تجاهه مزيجًا من النفور والأسى. آثار التعب بادية على وجهها، وكأن الأيام تثقل عليها حملًا فوق حمل.

كان مراد يتناول طعام العشاء بهدوء غريب، وحين انتهى، قال لها بنبرة تحمل الكثير من التحدي:

"ألم تفكري بعد في إنجاب طفل لي؟"

خفضت ليلى رأسها وقالت بصوت خافت:

"لقد اتفقنا قبل الزواج أنني لا أريد إنجاب الأطفال الآن، وأنت تعرف ذلك."

نهض مراد من مكانه فجأة، وصوته يعلو بغضب:

"تغير كل شيء الآن! أصبحتِ زوجتي، ويجب أن تفعلي ما أريده."

رفعت ليلى عينيها نحوه بشجاعة لم تعهدها في نفسها وقالت:

"أنا لا أريد."

في تلك اللحظة المشحونة بالضغط، نهض مراد من مكانه واقترب من ليلى. كان الصمت يحيط بالغرفة، عدا صوت أنفاسه المتسارعة. نظر إليها نظرة حادة، وقال بصوت منخفض لكنه حازم:

"ألم تفكري في ما طلبته منك؟"

حاولت ليلى أن تبقى هادئة، لكنها شعرت بقبضته على ذراعها. حاولت سحب يدها بلطف، لكن يده كانت ثابتة، مما جعلها تشعر بعدم الراحة. رفع صوته قليلاً وهو يقول:

"لا يمكنك رفض ما أريد."

لكن ليلى، رغم خوفها، نظرت إليه بحزم وقالت بصوت ضعيف:

"أنا لا أريد هذا، ولم أتفق معك على ذلك."

زاد التوتر في الجو، وسكت للحظة قبل أن ينقض عليها بضرب المبرح كالوحش الهائج أغمضت عينيهاا و سرحت قليلا بخيالها . لكنها كانت تردد في ذهنها: هل سأنجو من هذا؟

كانت عيناها تغلقان شيئًا فشيئًا، كأنها تحاول الهروب من هذا الواقع المؤلم، في محاولة لتخيل لحظة تخلّص من هذا العبء الثقيل، حيث لا ألم ولا صراع. وكان في داخلها هاجسٌ مستمرّ، وهو ما يجلب الراحة لقلبها المكسور: سليم. كانت دموعها تتساقط بحزن، متمنية لو كانت في مكان آخر، حيث تكون معه لتشعر و هي بجانبه بالأمان

بعدما أكمل مراد مهمته، نهض وترك ليلى ملقاة على الأرض، وكأنها جثة هامدة لا قدرة لها على التحرك. كانت دموعها الساخنة تتساقط على وجنتيها، شعور لا يوصف، كأنها قد فقدت جزءًا من نفسها في تلك اللحظة.

لكن، في أعماقها، كان هناك شيء ما يتحرك. شعور أقوى من الألم، أقوى من الخوف. ليلى قررت أنها لن تتحمل هذا بعد الآن. قررت أن تضع حداً لهذه المهزلة، أن تُنهي هذه المعاناة التي استمرت طويلًا. لماذا تصبر على شخص مثل مراد؟ هل الحياة تستحق هذا العذاب؟ كانت تلك الأسئلة تتكرر في ذهنها بينما تلتقط أنفاسها بصعوبة.

نهضت ببطء، كأنها تشق طريقها في بحر من الألم، تجر جسدها المنهك، ولكن عزيمتها كانت أقوى. أمسكت بحقيبتها الصغيرة، وأخذت منها ما تحتاجه لتكمل رحلتها. دون تفكير، خرجت من المنزل في خفاء، عيونها تبحث يمينًا ويسارًا، خائفة من أن يظهر مراد فجأة.

أوقفت سيارة أجرة على عجل، ودخلت إليها بينما كان جسدها يرتعش من الخوف. لم تكن تعلم إلى أين تذهب، كل ما كانت تشعر به هو تلك الفوضى في رأسها. كانت تمشي في الحياة وكأنها تائهة، تبحث عن أي شيء يخفف من هذا الثقل الذي تحمله، لكنها كانت تعرف أنها تحتاج إلى الهروب، إلى الحرية، ولو للحظة.

وصل سليم إلى مكتبه، وعيناه مثقلتان بالأفكار التي لا تفارقه منذ الأمس، بعد حديثه مع والدته عن ماضيه الذي بدأ يلتبس عليه. حاول أن يركز على عمله، لكنه كان يعلم أن تلك الأسئلة التي شغلته لا يمكنها أن

تختفي بسهولة. أمامه كان صف طويل من المرضى ينتظرون، وبدأ في معاينتهم واحدًا تلو الآخر، محاولًا أن ينسى كل ما مر به.

بينما كان يحاول أن يطفئ تلك الأفكار في ذهنه، رن هاتفه فجأة. كان الرقم غريبًا، لكنه أجاب ...

سليم: "ألو، من معي؟"

ثم جاء الصوت الذي جعله يقف في مكانه غير مصدق، كما لو أن الزمان توقف لوهلة.

الصوت: "سليم، هذه أنا... ليلى."

تجمد سليم، وعينيه تتسعان من الدهشة. لم يستطع تصديق ما سمعه. كيف يمكن أن تكون هي؟

سليم: "ليلى... ليلى أين أنت؟ أين تكونين الآن؟"

تنهدت ليلى من الطرف الآخر، ثم قالت بصوت يملؤه الضعف:

"القصة طويلة يا سليم... أنا الآن في المدينة ولم أتمكن من العثور على أحد ألتجأ إليه. أرجوك، ساعدني، فأنا في ورطة كبيرة."

شعر سليم بموجة من الصدمة، لكن سرعان ما استجمع نفسه وأخذ نفسًا عميقًا. لم يكن ليتخلى عن ليلى في هذه اللحظة، حتى وإن كانت الظروف غير واضحة تمامًا.

سليم: "لا تقلقي، سأساعدك. تعالي إلى عيادتي، سأنتظرك."

أغلق الهاتف، وترك ذهنه يغرق في تساؤلات جديدة. ماذا حدث لها؟ لماذا هي في ورطة؟ كل شيء كان غامضًا، لكنه لم يملك سوى الانتظار لملاقاة ليلى، والشعور المتضارب بين الأمل والقلق كان يتسلل إلى قلبه.

انتظر سليم في مكتبه، حيث كان الصمت يملأ المكان بعد المكالمة. فكر في كل ما قد تكون مرَّت به ليلى، ولماذا طلبت مساعدته بعد هذه المدة الطويلة من الانقطاع. كان ذهنه مشوشًا بين مشاعر الحيرة والقلق، لكن كان هناك شيء في قلبه يدفعه للاستعداد لمقابلتها ومساعدتها مهما كانت الظروف.

بعد حوالي نصف ساعة، رن الهاتف مرة أخرى، وهذه المرة كان الرقم ذاته. شعر سليم بشيء من التوتر قبل أن يرفع السماعة بسرعة.

سليم: "ألو، ليلى؟ هل أنتِ بخير؟"

ليلى: "أنا في الطريق إليك. لا أعرف ماذا سأقول لك، ولكنني حقًا بحاجة إليك الآن. لا أستطيع العودة إلى المكان الذي جئت منه، وأنا خائفة جدًا."

سليم: "لا تقلقي، سنحل كل شيء معًا. تعالي، أنا في انتظارك."

مرّت دقائق ثقيلة قبل أن يسمع سليم صوت خطوات قادمة على الممر. وفجأة، دخلت ليلى إلى المكتب، ملامحها متعبة ووجهها مليء بالكدمات. كانت عيونها مليئة بالدموع، رغم أنها حاولت إخفاء ذلك.

سليم: "ليلى، هل أنتِ بخير؟ لا أصدق أن هذه أنت "

حاول أن يخفف من قلقه، لكن رؤيتها في هذه الحالة جعلته يشعر بالعجز. اقترب منها وحاول أن يطمئنها.

ليلى: "أريد فقط أن أختفي من كل شيء، سليم. أنا في ورطة كبيرة ولا أستطيع البقاء هناك بعد الآن. مراد... يلاحقني الآن و إذا وجدني سيقتلني إنه شخص مختل لا أعرف ماذا أفعل ."

أغمض سليم عينيه قليلاً، ثم قال: "أعرف أنكِ مرت بالكثير، ولكن ما الذي حدث؟ هل هناك شيء يمكنني مساعدتك فيه؟"

ليلى بدأت تحكي بهدوء، وكأنها تُفرغ ما في قلبها: "مراد... أصبح وحشا . أصبح عنيفًا أكثر من سابق ، و... لا أستطيع العيش معه بعد الآن. كنت أبحث عن مكان ألجأ إليه، لم أكن أريد أن أكون عبئًا على أحد، لكنك كنت الشخص الوحيد الذي فكرت فيه."

سليم شعر بمزيج من الحزن والغضب لما سمعه. لم يتخيل أبدًا أن ليلى كانت تمر بكل ذلك الألم.

سليم: "أنا هنا من أجلك، ليلى. لا تظني أنكِ وحدك. سنتعامل مع كل شيء خطوة بخطوة، وسأساعدكِ لتتجاوزين هذا."

نظر إليها بعينين مليئتين بالعزم، مستعدًا لأن يكون الدعم الذي تحتاجه. ولكن، في قرارة نفسه، كان يعلم أن الأحداث التي ستتبع هذه اللحظة ستكون أكثر تعقيدًا من أي شيء مرَّ به في حياته.

أخذ سليم ليلى إلى بيته الصغير المتواضع، وكأنها خطوة من حلم طويل لم يستطع تصديقه. أخيرًا، بعد كل ما مر بهما، ها هي ليلى معه مجددًا. كان يشعر بسعادة غامرة تملأ قلبه، لكنه لا يزال في حالة من الذهول، كما لو أن ما يعيشه الآن مجرد حلم. طلب منها أن تأخذ راحتها في المكان، وأن تشعر وكأنها في بيتها.

دخلت ليلى الحمام بعد ليلة طويلة من المعاناة، لم تصدق أنها أخيرًا في أمان. خرجت من الحمام، فوجدت سليم جالسًا ينتظرها، فقالت بصوت هادئ:

"أسفة، لم أسئلك عن شيء عن نفسك. اقتحمت حياتك دون إذن. ألن تنزعج زوجتك عند عودتها وترى امرأة غريبة معك في بيتك، وحدكما؟"

ضحك سليم بنبرة حزينة، وعيناه تحملان ألمًا خفيًا، وقال:

"زوجة...؟"

أجابته ليلى بتعجب:

"نعم، زوجتك. ألديك أولاد؟ بنات أم صبيان؟"

رد سليم وهو يضحك بمرارة، عينيه تتجنبان النظر إليها:

"أولاد... لا، لا، لست متزوجًا بعد. أنا لازلت لم أجد المرأة المناسبة."

شعرت ليلى بفرحة تغمرها، قلبها ينبض بسرعة، وقالت بلهفة:

"حقًا؟ لم تتزوج بعد؟ لماذا؟"

قال سليم، وهو يحك رأسه بحيرة:

"لم أجد من تستحق. ما زلت أبحث، ربما."

شعرت ليلى بالخجل، وأخفضت رأسها، ظنت للحظة أنه سيخبرها أنه لا يزال يحبها، لكنه لم يقل شيئًا. بدا أن الزمن قد مسح تلك المشاعر من قلبه.

قال سليم بنبرة هادئة، وهو يحاول الابتسام:

"الآن سأتركك لترتاحي، أنا سأخرج."

لكن ليلى، التي لم تجد الأمان إلا في وجوده، قالت بتوسل:

"أرجوك، ابق هنا. أنا خائفة، لا أعلم ما الذي يحدث، ولا أشعر بالأمان إلا معك."

كانت كلماتها بمثابة صرخة خفية، لكن سليم شعر بثقلها في قلبه. لكنه لم يرد أن يُثقل عليها أكثر، فظل صامتًا للحظة، ثم قرر أن يبقى، ربما لأجلها، وربما لأجل نفسه أيضًا.

في صباح اليوم التالي، استفاقت ليلى على أشعة الشمس التي تسللت بخجل من بين الستائر، لتلامس وجهها بلطف. نهضت ببطء، وهي تحك عينيها، غير قادرة على تصديق أنها في بيت سليم، حبيبها ومنقذها. كانت مشاعرها مختلطة بين الدهشة والفرح، وكأنها في حلم لا تريد الاستيقاظ منه. نهضت من مكانها برفق واتجهت نحو المطبخ، تنظر حولها بتساؤل.

أخذت لمحة من الثلاجة، ثم وقعت عينيها على ملاحظة تركها سليم لها. قرأتها بهدوء: "ذهبت إلى مكتبي، إذا احتجتِ لأي شيء، اتصلي بي فورًا، اشعري وكأنك في بيتك." ابتسمت ليلى بلطف وهي تقرأ الكلمات، ثم نظرت حولها. الهواء المنعش الذي استنشقتها ملأ قلبها بالحياة. قالت بصوت خافت:

"يجب عليّ أن أعيد الحياة لهذا المكان."

كان منزل سليم بسيطًا، لا يختلف عن منازل الرجال الذين لم يتزوجوا بعد، خاليًا من روح الحياة. الأثاث كان خاليًا من الألوان، الأرائك كانت رمادية والستائر كذلك، حتى المطبخ كان يحمل ذات اللون الباهت. لكنها،

وبسرعة، قررت أن تملأ هذا المكان بروحها الخاصة. بدأت تغيير الأجواء، تضيف الألوان هنا وهناك، كأنها تزرع الحياة في كل زاوية.

عكفت على إعداد أشهى المأكولات والحلويات التي كانت تملأ البيت برائحة دافئة وجذابة. كانت تقطع المكونات بحب، وتضع لمساتها السحرية في كل طبق.

عندما عاد سليم إلى منزله مساءً، تفاجأ بما رآه. كان البيت قد تحول بشكل كامل. الألوان الزاهية أضأت المكان، والرائحة اللذيذة التي ملأت الجو جعلته يشعر وكأنه في عالم آخر. كان الجو دافئًا، مريحًا، كما لو أن روحًا جديدة قد سكنت المكان.

دخل إلى غرفة المعيشة ووجد مائدة الطعام ممتلئة بكل ما لذ وطاب. كانت تلك اللحظة مليئة بالحب والامتنان. لقد شعر بشيء لم يشعر به منذ فترة طويلة، كأن الحياة عادت إلى قلبه من جديد. نظر إلى ليلى بابتسامة لم يستطع إخفاءها، وقال بنبرة دافئة:

"لا أعرف ما أقول يا ليلى، لكن شكرًا لك. لقد جعلتِ لهذا المنزل روحًا أخرى."

ردت ليلى بابتسامة متواضعة، وقالت بلطف:

"لا شكر على واجب. بل أنا من يجب أن يشكرك، لأنك فتحت لي منزلك، واستضفتني هنا."

كانت كلماتها بسيطة، لكنها حملت في طياتها كل المعاني العميقة التي تشعر بها تجاهه.

عاشت ليلى مع سليم لعدة أشهر، لكن قلبها كان يحمل رغبة لا يمكن تجاهلها. كانت امرأة لا تحب الاعتماد على أحد، فقررت أن تأخذ خطوة جديدة نحو الاستقلالية. أرادت أن يكون لها منزل خاص بها، وأن تكون قادرة على الاعتماد على نفسها في الحياة. فكرت طويلاً ثم قررت أن تطلب من سليم أن يتركها لتبحث عن وظيفة.

لكن سليم، الذي كان قد تعود على وجودها في حياته، شعر بشيء من الانزعاج عند سماع طلبها. جلس أمامها بهدوء، وعينيه تحملان الحنية والقلق، وقال:

"أخبريني يا ليلى، ماذا ينقص عليكِ؟ إذا طلبتِ مني القمر، سأحضره إليكِ كاملاً."

لكن ليلى، بعينين مليئتين بالعزم، ردت بحزم:

"لا تفهمني خطأ، يا سليم. أنت تعرفني جيدًا، أنا امرأة لا أحب أن أكون عبئًا على أحد. أريد أن أكون مستقلة. أرجوك، افهمني. وإذا بحث عني ذلك المدعو مراد، ووجدني أعيش هنا، فسأسبب لك الكثير من المشاكل."

نظر إليها سليم بجدية وقال بصوت هادئ:

"إسمعي ليلى، أنا لست خائفًا من مراد. إذا أردتِ، يمكنني الوقوف في وجه عشرة أمثاله. لكنني أخاف عليكِ فقط. لا أريدك أن تواجهي شيئًا قد يؤذيك."

ابتسمت ليلى ابتسامة مطمئنة، وقالت:

"لا تخف، سأكمل ما بدأت. أرجوك، اطمئن تمامًا. سأكون بخير."

أخذ سليم نفسًا عميقًا، ثم قال بتفهم:

"حسنًا، لن أضغط عليكِ أكثر. افعلي ما تريدينه، فقط كوني مرتاحة. أنا هنا دائمًا لدعمك."

تبادلا النظرات المليئة بالفهم، وعرفت ليلى أن قرارها كان صحيحًا، وأن سليم سيفهم دائمًا اختياراتها.

أصبح وضع سليم مع ليلى في المنزل مصدر قلق للكثير من الجيران، الذين بدأوا يشعرون بالضيق بسبب وجودها المستمر معه. حتى أن إحدى الجارات قررت أن تتدخل، وجاءت لتشتكي إلى سليم في إحدى الأيام. وجهت له حديثًا صارمًا وقالت:

"ما تفعله عيب، عار على مجتمعنا. كيف لشاب أعزب مثلك أن يعيش مع شابة مثله؟ هذا غير مقبول."

كان حديث الجارة قاسيًا ومؤلمًا لسليم، وبدأ يشعر بالضغط من كل الجهات. ورغم أنه كان يعلم أن ليلى بحاجة له، إلا أن هذا الموقف جعله في حالة من الارتباك، فلم يكن يعرف كيف يتعامل مع الضغوط التي تتراكم عليه.

بعد فترة قصيرة، بدأ الجيران في التكتل فيما بينهم ليتخذوا قرارًا بطرده من العمارة. وعندما سمع صاحب العمارة بالأمر، أمر سليم بالخروج فورًا. كان هذا الخبر بمثابة الصدمة بالنسبة له. أصبح يشعر بالهزيمة والضغط النفسي، وازدادت الأمور تعقيدًا عليه.

في الوقت نفسه، كانت ليلى قد وجدت وظيفة جديدة وبدأت العمل في دوامها. ولكن مع كل هذا الضغط الذي كان يعانيه سليم، أصبح يبتعد

أكثر فأكثر. كان أحيانًا يفضل الذهاب للنوم في عيادته لتجنب مواجهات الجيران وتجنب التوتر الذي أصبح يلاحقه.

ورغم أن ليلى كانت تفهم وضعه، إلا أن الأمر كان صعبًا عليه أكثر مما يمكن أن يظهره. حتى أنه لم يستطع تحمل الذكريات التي كانت تحيطه في ذلك المنزل، خاصة بعد وفاة جدته. لم يكن قادرًا على التواجد هناك بعد رحيلها، فقد كانت تلك الجدران تحمل معه كل تفاصيل حياته معها، وكل ذكرى كان يشاركه إياها في هذا المنزل.

قرر سليم في نهاية المطاف أن يترك هذا المكان ويعود إلى بيت جدته الذي كان قد رحل عنه منذ وقت طويل. هناك، في ذلك البيت الذي تملؤه الذكريات والألم، ربما يجد بعض الراحة من كل ما مر به :

كل هذه المصائب لم تنتهي بنحو جيد فقد كان لازال الخطر يحدق بهم جيدًا...

مراد الذي لم يترك مكانًا ولم يبحث فيه عن ليلى...

قد بدأ يفقد صوابه لكنه تذكر شيئًا، نعم تذكره في آخر لحظة...

الفتاة التي اتصلت به قبل سنين طويلة ليعرف مكان ليلى... هي من أخبرته عن مكان عملها وعنوانها...

تلك الفتاة الشيطانة التي بحثت عن تاريخ ليلى وعرفت كل أسرارها وأرجعتها إلى الحياة مجددًا لتبعدها عن سليم ظنًا منها أن بهذا الأمر سيرجع لها حبيبها...

لكن ما فعلته هو أنها دمرت حياة فتاة بريئة بأفعالها الغبية...

تذكر مراد رقم هاتفها واتصل بها...

مراد: "مرحبًا يا حلوى، أتذكرتيني؟"

ميلا: "لا لم أتذكرك، من تكون؟"

مراد: "أنا الذي بحثتِ عني لتضعيني مجددًا في حياة ليلى. هل بدا لك الأمر واضحًا الآن؟"

ميلا، وهي تتلعثم: "آه، عرفتك. بالطبع. ماذا تريد مني؟ لماذا اتصلت بي؟ أنا فعلت ما فعلته ذاك الوقت بسبب غبائي وسذاجتي. كنت مراهقة لا أعلم ما كنت أفعل..."

مراد: "لا تحكي لي قصة حياتك، لا يهمني. أنا الآن أبحث عن زوجتي ليلى، هربت من المنزل ولم أجدها وأريدك أن تساعديني..."

ميلا: "أنا لا أستطيع مساعدتك، أنا آسفة..."

مراد، بتهديد: "لا بأس بهذا، عزيزتي. سأذهب لأخبر سليم بكل ما فعلته لحبيبة قلبه ليلى وأنك السبب الرئيسي في جعلهم ينفصلان..."

توسلت ميلا أن لا يفعل هذا، فهي لم تصدق أن سليم أخيرًا عاد ليتكلم معها كما كان في السابق... كان صوتها يرتجف وهي تقول:

ميلا: "من فضلك مراد، لا تفعل هذا. سأفعل أي شيء لأساعدك، لا أريد أن تخبر سليم، لا أريد أن تدمّر حياتنا جميعًا. سأساعدك في إيجاد ليلى، سأفعل كل ما بوسعي لأعيدها إليك."

مراد سكت للحظة، ثم قال ببرود:

مراد: "أنتِ تعرفين أنني لا أمزح، ميلا. إذا أردتِ أن تخرجي من هذه الورطة، عليكِ مساعدتي. ولا تحاولي التلاعب بي، لأنني لا أحتمل أن أخسر مرة أخرى."

ميلا شعرت بضغوط مراد وأخذت نفسًا عميقًا، وأدركت أنها يجب أن تضع جميع مشاعرها جانبًا لكي تجد ليلى وتعيد الأمور إلى نصابها، حتى ولو كان ذلك يعني أن تضطر للعمل مع مراد.

ميلا: "حسنًا، سأساعدك. سأبذل قصارى جهدي للعثور على ليلى. لكن أرجوك، لا تخبر سليم بأي شيء عن الماضي. لا أريد أن أؤذيه."

مراد ابتسم ابتسامة قاسية وقال:

مراد: "أنتِ في طريقك للنجاح، ميلا. لا تخذلي نفسك."

ثم أغلق الهاتف، بينما كانت ميلا تجلس في مكانها، تفكر مليًا في ما يجب أن تفعله بعد ذلك.

اتصلت ميلا بعماد عسى أن يكون لديه فكرة عن مكان سليم أو ليلى، لكن ما قاله صدمها. رد عماد بصوت مملوء بالحيرة:

عماد: "سليم تغير كثيرًا هذه الفترة، لقد أصبح منطويًا على نفسه. لم يعد يتصل بي، ولم نعد نلتقي كما كنا سابقًا."

ميلا: "لكن سليم كان هكذا دائمًا، أليس كذلك؟"

عماد: "لا، لا. لم يكن مثلما هو الآن. في الماضي، كان أكثر انفتاحًا، أما الآن فهو مختلف، لا أستطيع أن أفهمه."

ميلا: "إذاً أنت لا تعرف شيئًا عن حياته الآن؟"

عماد: "ماذا سيكون في حياة سليم لأعرفه؟"

ميلا: "وماذا عن ليلى؟ هل سمعت عنها؟"

عماد: "ليلى؟! ما بها ليلى؟ هل تمزحين يا ميلا؟ نحن لم نسمع عن اسم ليلى منذ أيام الثانوية، ألن تذكري؟"

ميلا: "أه، نعم... صحيح. لكنني فكرت ربما تكون قد عادت للمدينة."

عماد: "لا، لم تعد. أكيد لا، لم أسمع عنها إطلاقًا."

صمتت ميلا للحظة، تفكيرها يدور في دوامة من الأسئلة. لماذا لم يعد سليم يتحدث مع عماد؟ وهل حقًا ليلى لم تعد إلى المدينة؟

أصبح لغز اختفاء ليلى هاجسًا يؤرق ميلا ويطاردها في كل لحظة. كانت تشعر بالخوف من تهديدات مراد المتواصلة، التي كانت تزداد حدة مع مرور الوقت. إذا لم تتمكن من إيجاد ليلى وإعادتها له، كان مراد سيجعلها تندم على كل لحظة ضاعت في محاولاتها الفاشلة. ميلا بدأت تبحث بجنون، لعلها تجد ليلى وتعيدها إلى زوجها بعيدًا عن المشاكل والضغوط التي تلاحقها. لكن كل محاولاتها باءت بالفشل، وزادت الضغوط النفسية عليها. مع مرور الوقت، بدأ صبر مراد ينفد، وهددها أكثر بأن عواقب فشلها ستكون وخيمة. وفي لحظة من اليأس والتردد، خطرت لها فكرة. "الحل الوحيد ربما يكون عند سليم. يجب عليّ أن أقترب منه، ربما يكشف لي الحقيقة." قررت ميلا أن تقترب من سليم، لعلها تجد الإجابة التي تبحث عنها وتتمكن من حل هذا اللغز المعقد.

بعد ظهر هادئ، رن هاتف سليم بنغمة مألوفة. كانت ميلا على الخط، صوتها الرقيق يخفي شيئًا لا يستطيع تحديده.

"مرحبًا سليم، كيف حالك؟" قالت بصوت ناعم.

"مرحبًا ميلا، بخير، وأنتِ؟" أجاب سليم بلباقة، لكنه شعر أن هناك ما وراء هذا الاتصال.

"اشتقت لرؤيتك. سأكون سعيدة جدًا إذا سمحت لي بزيارتك. لديّ بعض الأخبار التي أريد إخبارك بها شخصيًا."

تردد سليم للحظة، إحساس داخلي ينذره أن زيارتها قد تحمل شيئًا غير متوقع. لكنه، بأسلوبه المهذب، حاول أن يعتذر بلطف: "أشكركِ على اهتمامك، لكنني مشغول جدًا هذه الفترة بضغوط العمل."

لكن ميلا، بإصرار لم يعهده منها، قاطعته: "لن أطيل عليك، سليم. هذه الزيارة مهمة جدًا لي... ولأجلك أيضًا."

أمام إصرارها، لم يستطع سليم الرفض. "حسنًا، سأنتظركِ."

وصلت ميلا في المساء، بكامل أناقتها وعطرها الذي سبقها إلى المنزل. كان واضحًا أنها اختارت مظهرها بعناية، كأنها قادمة لحفل وليس لزيارة عادية.

فتح سليم الباب ورحب بها بابتسامة باردة: "مرحبًا ميلا، تفضلي بالدخول."

نظرت ميلا في أرجاء المنزل، عيناها تلتقط كل التفاصيل. قالت بلهجة مليئة بالملاحظات: "يبدو أنك قررت العودة لمنزل الجدة."

أومأ سليم برأسه وقال: "نعم، عدت إليه مجددًا."

رفعت حاجبيها بدهشة متعمدة وسألت: "وما سبب هذا القرار المفاجئ؟"

جلس سليم على الكرسي المقابل لها وأجاب بصوت هادئ: "في الواقع، لم يكن قرارًا مفاجئًا. فكرت فيه جيدًا. المنزل فارغ، فقلت: لمَ لا أعود إليه؟ أفضل من أن أستمر في دفع الإيجار. بهذه الطريقة يمكنني توفير بعض المال، وربما أشتري منزلًا صغيرًا يومًا ما."

ابتسمت ميلا بخفة وقالت: "فكرة رائعة يا سليم. على الأقل لديك مكان يحمل ذكريات جميلة. لكن..." توقفت للحظة قبل أن تضيف: "ألا توجد أي أخبار جديدة؟"

نظر سليم إليها بتمعن. كان في نبرتها شيء غير مريح، كأنها تحاول استدراجه. نهض فجأة من مكانه واقترب منها، نظراته حادة وكلماته مليئة باليقظة: "ميلا، توقفي عن المراوغة. أخبريني، ما الذي أتيتِ لتقولي لي إياه؟"

تجمدت ميلا للحظة، وكأنها لم تتوقع مواجهته الصريحة. ثم نظرت إليه بابتسامة غامضة وقالت: "حسنًا، إذا كنت تصر... سأخبرك بكل شيء

وقفت ميلا بعد أن وضعت كوب العصير على الطاولة، نظراتها أصبحت أكثر جدية، وقالت:

"إذاً يا سليم، لقد سمعت ببعض الأقاويل من الأصدقاء، وجئت لأتأكد بنفسي."

رفع سليم حاجبه ببرود وأجاب: "أي أقاويل تقصدين؟"

نظرت إليه مباشرة وقالت بلهجة واضحة: "ألم تسمع ما حدث مع ليلى؟"

تغيرت ملامح وجهه للحظة قبل أن يرد بهدوء مصطنع: "آه، بالطبع سمعت... لقد انفصلت عن زوجها."

ابتسمت ميلا بسخرية خفيفة وقالت: "بل هربت من زوجها."

شعر سليم أن ميلا كانت تختبره، لكن الغضب سيطر عليه حين ذكر اسم زوج ليلى، وقال بلهجة حادة: "ذلك المغفل كان يعنفها ويضربها! لو رأيته الآن، لكنت كسرت يده."

اتسعت عينا ميلا بدهشة واضحة وقالت: "وما أدراك أنت؟ هل اتصلت بك ليلى؟"

تلعثم سليم لجزء من الثانية، لكنه سارع بإخفاء ارتباكه وقال: "لا، لا بالطبع لم تتصل بي. فقط سمعت الأخبار عنها من الآخرين."

راقبت ميلا كلماته بحذر. لم يكن ما قاله مقنعًا لها، لكن ذلك كان كافيًا. أدركت أن سليم يعرف أكثر مما يريد الاعتراف به. شعرت أن زيارتها لم تذهب سدى، فقد حصلت على الأجوبة التي جاءت من أجلها.

ابتسمت بخفة وقالت وهي تنهض من مقعدها: "شكرًا لاستضافتك يا سليم. أراك لاحقًا."

خرجت ميلا من منزل سليم بخطوات مسرعة، ووجهها يشع فرحًا ممزوجًا بتوتر خفي. فور أن وصلت إلى سيارتها، التقطت هاتفها واتصلت بمراد.

رن الهاتف عدة مرات قبل أن يجيب بصوته العميق المعتاد:

"ألو... أتمنى أن تكوني أتيتِ لي بأخبار مفرحة."

ابتسمت ميلا بخبث وقالت: "نعم، لقد علمت شيئًا."

رد مراد بلهفة: "حقًا؟ ما هو؟"

ميلا، وهي تحاول ضبط حماسها: "لكنني لست متأكدة تمامًا بعد."

قال مراد بنفاد صبر: "أخبريني بسرعة، لا تلعبي معي."

أخذت ميلا نفسًا عميقًا قبل أن تقول: "سليم يعلم بشأن مشاكلك مع ليلى... وأخبرني أنك كنت تضربها."

صمت مراد للحظة قبل أن يرد ببرود: "والمعنى؟"

قالت ميلا وهي تحاول قياس ردة فعله: "يبدو أن ليلى على تواصل مع سليم ليعرف عن تفاصيل حياتكم."

رد مراد بنبرة حادة: "أنتِ محقة... إذاً، أين يسكن الآن ذلك المدعو سليم؟"

شعرت ميلا بشيء من القلق وهي تقول: "اسمع يا سيد مراد، أنت تريد استعادة زوجتك. نحن لا نريد مشاكل، ولا أريدك أن تؤذي سليم."

قال مراد بنبرة مطمئنة لكنها تخفي الكثير: "حسنًا، حسنًا، لا تقلقي. فقط أخبريني بعنوانه."

صمتت ميلا للحظات، ثم قالت بتردد: "لا أعلم إذا كان ما أفعله صحيحًا... لكنني أفعل ذلك لمصلحة الجميع، أليس كذلك؟"

أجابها مراد ببرود متصنع: "بالطبع، لمصلحة الجميع."

كتبت ميلا عنوان منزل سليم في رسالة نصية، ثم أرسلته إلى مراد دون أن تضيف كلمة واحدة.

بعد إرسال الرسالة، شعرت بثقل كبير في صدرها. حاولت إقناع نفسها بأنها فعلت الصواب، لكنها لم تستطع تجاهل الشعور بأن شيئًا سيئًا قد يحدث قريبًا.

أصبح مراد كظل يتبع سليم في كل مكان، وكأن حياته بأكملها قد أضحت مرتبطة بكل خطوة يخطوها سليم. لم يعد يتركه لحظة واحدة؛ كان يراقبه عن كثب في كل تفاصيل حياته اليومية. في كل صباح، عندما يغادر سليم إلى عمله، كان مراد يراقب عن كثب من زاوية خفية، يتأكد من أنه لا يغادر المكان الذي يعتقد أن ليلى قد تكون فيه.

إذا ذهب سليم إلى منزل صديقه عماد، كان مراد هناك أيضًا، يتجول بين الزبائن في المقهى أو يستمع لأحاديث الناس دون أن يشعر به أحد. حتى في البار الذي كان سليم يزوره غالبًا، كان مراد في الزاوية المظلمة، يتنقل بين الحشود، لا يفوت فرصة لملاحظة كل شيء حوله. لم يكن يهمه ما يجري حوله بقدر ما كان يهمه معرفة ما إذا كان سليم يملك أي معلومة عن مكان ليلى.

كانت خطوات مراد بطيئة وثابتة، وكأن شيئًا ما في داخله يمنعه من الابتعاد عن سليم. لم يكن مجرد مراقبة، بل كان يشعر بأن هناك شيئًا غامضًا على وشك أن ينكشف. لم يكن يعلم إذا كان سليم يعرف أكثر مما يظهر، لكنه كان مصممًا على اكتشاف الحقيقة.

ومع مرور الأيام، استمر مراد في ملاحقة سليم، متبعًا كل حركته، يتنقل من مكان لآخر، لا يفوت فرصة لتكون عيناه عليه. حتى في المساء، عندما كانت الأضواء تخفت في البار ويبدأ الزبائن في الرحيل، كان مراد لا يزال هناك، متسمرًا في مكانه، يراقب بعناية كل حركة.

وفي كل مرة يذهب سليم إلى بيته، كان مراد يظل على مسافة، مختبئًا في الظلال. كان يشك في أن سليم يعلم شيئًا، وكان مستعدًا لاكتشاف الحقيقة مهما كان الثمن. في داخل مراد كان هناك إحساس غريب، وكأن هناك سرًا يقترب من الانكشاف، لكنه لا يستطيع التراجع الآن، ولا يستطيع أن يظل بعيدًا عنه

حتى أتى ذلك اليوم الذي انتظره مراد بفارغ الصبر. كان يعلم أن لحظة اللقاء بين ليلى وسليم قد حانت، وقد اقتربت اللحظة التي طالما كان يترقبها.

كانت ليلى تجلس في الكافيتيريا، منتظرة سليم. كان قلبها ينبض بتوتر لا تعرف مصدره، وكأن شيءًا ما في داخله يخبرها أن هناك شيئًا ليس على ما يرام، لكنها تجاهلت هذا الشعور وقررت أن تستمتع باللحظة.

وصل سليم أخيرًا، وجلس أمامها. بدأت المحادثة بينهما تسير بسلاسة، وضحكاتهم تملأ الأجواء. كانت ليلى تشعر بشيء من الاستقرار أخيرًا، حيث بدأت حياتها تأخذ منحى جديدًا بعد كل تلك الفترات الصعبة. انتقلت إلى شقة بمفردها، واستشعرت أخيرًا طعم الاستقلالية التي كانت تبحث عنها. لم تكن تعلم أن هناك من يتربص بها في الظلال، يراقب كل تحركاتها، محاولًا إفساد حياتها مجددًا.

مع مرور الوقت، شعر الاثنان بأن الساعة قد تأخرت. استأذنت ليلى من سليم، وقررت أن تمشي إلى منزلها وحدها، رغم محاولاته المتكررة ليوصلها إلى هناك. غرورها كان يمنعها، فهي لم ترغب في أن تزيد عبئًا عليه، خصوصًا بعد كل ما فعله من أجلها. أرادت أن تذهب بنفسها، وأن تستعيد قوتها.

الشوارع كانت خالية، والظلام يحيط بكل شيء. أنوار الشوارع كانت خافتة، ولا يسمع فيها سوى نباح الكلاب في الأحياء البعيدة. شعرت ليلى بشيء من الخوف، ولكنها شجعت نفسها على المضي قدمًا. كانت تسير غارقة في أفكارها، تفكر في كل ما مر بها.

ثم فجأة، شعرت بشيء غريب. يد تمتد خلفها، وتغلق على معصمها. استدارت بسرعة، ووجدت مراد يقف وراءها.

"مفاجأة، أليس كذلك؟" قال مراد بصوت خافت.

سقطت ليلى على الأرض من شدة الصدمة. "ماذا تفعل هنا؟" قالت وهي تتنفس بصعوبة، قلبها ينبض بسرعة.

"امشي معي الآن!" قال مراد بغضب.

"أنا لن أذهب معك إلى أي مكان، أسمعتني؟!" ردت ليلى بصوت مرتجف، محاولة أن تكون قوية. "لقد رفعت قضية خلع، وستصلك قريبًا. اتركني في حالتي."

ضحك مراد بشكل مستهزئ، وعيناه تلمعان بسخرية. "لا يوجد قانون يطلقك مني، عزيزتي."

"كفاك يا مراد!" قالت ليلى، يأس يملأ عينيها. "لقد تعبت، ألم تتعب أنت أيضًا؟ أنا لا أحبك، ولا أريدك. اتركني وشأني، بإمكانك التعرف على امرأة أخرى، تجعلها تقع في غرامك."

نظراته تغيرت، وكان الشر يتسلل من عينيه. "ألا تفهمين؟" قال وهو يقترب منها. "لن أحب فتاة غيرك."

بدأ مراد يجرها بقوة، وهي تصرخ بألم، تحاول الإفلات من قبضته: "أرجوك، أتركني، مراد! أنا لا أريدك، أيها البأس الحقير! توقف! أتركني وشأني!" لكن ضحكاته كانت هي الوحيدة التي تملأ المكان، ضحكات باردة، مفعمة بالجنون.

قال، وهو يضغط على معصمها أكثر: "لا يمكنني، عزيزتي. أنتِ ملكي، زوجتي، عالمي الخاص. ألا تفهمين كم أحبك؟ أشعري بحقيقة مشاعري تجاهك. لماذا لا تريدينني؟"

لكن ليلى كانت تكاد تنفجر من الألم والحيرة. بصوت مخنوق، وفي لحظة لا تستطيع فيها التحكم بما تقوله، قالت: "مراد... أنا حامل..."

توقف مراد فجأة، كما لو أن الزمن تجمد لحظة واحدة. "ماذا؟ كيف؟" قال وهو ينظر إليها بدهشة. "أنا لم ألمسك منذ خمسة أشهر... كيف؟"

ثم، وبسرعة، تغيرت ملامحه بشكل مفاجئ، وعينيه امتلأت بالجنون. كان الغضب يتطاير منه. "لا تقوليها، يا ليلى! هل قمتِ بخيانتي؟ مع من؟ مع ذاك الحقير سليم؟"

قالت ليلى بتلعثم شديد، ولم تستطع السيطرة على كلماتها: "نعم... سليم هو أب طفلي..."

توقف مراد في مكانه، وعيناه تكاد تنفجر من الألم. ثم، وفي لحظة من الهستيريا، بدأ يضرب رأسه بيديه كما لو كان يحاول إيقاظ نفسه من كابوس لا يصدق. "كيف يمكنكِ أن تفعلين هذا بي؟ كيف؟ كيف أمكنكِ فعل ذلك؟"

ليلى، التي كانت قد اختنقت بكلماتها، قالت بصوت ضعيف: "أنا آسفة يا مراد... بيننا المحكمة."

ثم جرت مبتعدة، دون أن تلتفت خلفها، وهي لا تصدق أنها استطاعت أخيرًا التخلص منه. لكن أفكارها كانت مشوشة، فهي تساءلت في داخلها: ماذا لو اكتشف أنني كنت أكذب عليه؟ ماذا سيفعل بي حينها؟

ثم همست لنفسها، وهي تسرع في خطواتها: لا يجب أن يعرف ذلك...

وفي وسط الشارع، كان مراد ينهار، يقف في مكانه كطفل صغير فقد كل شيء. كان يبكي بحرقة، والصراخ في قلبه يزداد ألمًا. كان يشعر وكأن العالم كله انهار من حوله. كيف يمكنه العيش مع هذا العار؟ كيف يمكنه تحمل فكرة أن زوجته خانته، وأن حياته كانت مجرد كذبة؟

كان سليم جالسًا في منزله، يستمتع بوقته أمام التلفاز، يمر الوقت ببطء بينما يستهلكه في مشاهدة برنامجه المفضل. فجأة، قطع الصوت الهادئ

صوت دق الباب. نظر سليم نحو الباب، متسائلًا: "من بالباب؟" لكن لم يجب أحد. في البداية، ظن أنه صديقه مراد، الذي كان يأتي عادة بعد ليالي طويلة من السهر والشرب.

فتح سليم الباب، وقبل أن يتمكن من قول شيء، شعر بشيء قاسٍ يضرب وجهه. لم يستطع استيعاب ما حدث. كانت صدمة شديدة، لكن سرعان ما شعر بألم الضربة يعم وجهه. حاول الدفاع عن نفسه قائلًا: "من أنت؟"

لكن مراد، الذي كان فاقدًا للسيطرة تمامًا، أجاب بصوت مرتجف مليء بالمرارة: "أنا الذي دمرت حياتك! أنا الذي جعلتك تعيش في هذا الألم!"

كان سليم يحاول أن يهدأ الموقف ويفهم ما يحدث، فقام بسرعة وأمسك مراد من ذراعيه، محاولًا إسكات حركته الغاضبة، وأعاد سؤاله: "توقف، فقط أخبرني، من تكون؟"

حينها انفجرت مشاعر مراد، وبدأ في البكاء بغضب، وقال بنبرة متقطعة: "أنا مراد... مراد، زوج ليلى."

توقف سليم فجأة عن الحركة، ودارت في عقله فكرة واحدة فقط. عندها، امتلأ قلبه بالغضب، وتدفق الدماء إلى وجهه. لم يستطع تحمل هذا الكم من الألم والخيبة. في لحظة جنون، أمسك به وأعطاه ضربات مدمرة، فتحولت الغرفة إلى ساحة معركة.

دخل الإثنان في نوبة جنون، كل واحد منهما يضرب الآخر بشدة، دون أن يفكر في العواقب. كانت ضرباتهم تتنقل بين اللكمات والركلات، والألم يغلف كل شيء. الغضب كان يتصاعد بينهما، وكل واحد كان يحاول التخلص من الألم الذي كان يعصف به.

بالطبع، إليك النص بأسلوب روائي أكثر:

حتى سقط كلاهما صريعًا على الأرض. حاول سليم النهوض، بصعوبة شديدة، ووقف على قدميه. أدار رأسه نحو مراد الذي كان يئن من الألم، ثم رفعه بقوة ورماه خارج الشقة.

قال سليم بصوت حازم، ملامح وجهه مشدودة من الغضب:

"إبتعد عن ليلى، وإلا لن يحدث لك خير."

مراد، الذي كان غارقًا في عالمه الخاص من الألم والحزن، حاول الوقوف مرة أخرى. كان يشعر بالعجز، ولم يعد يعلم ماذا يفعل. كانت الصورة واضحة الآن، ليلى أصبحت ملكًا لرجل آخر، وكان الحمل في أحشائها هو أكبر دليل على ذلك. لقد أحبها لدرجة أنه حلم طوال سنوات بأن يكون له منها طفل واحد، لكنها كانت ترفض دائمًا. أما الآن، فقد أصبحت حاملًا من غيره، وسليم هو من سيفعل لها ما عجز هو عن فعله.

كل شيء أصبح واضحًا بالنسبة له الآن. إنه فقدها للأبد، وأدرك أن محاولاته لاسترجاعها لن تنجح. لكن، هل سيستسلم بهذه السهولة؟ تساءل في نفسه.

مر الوقت بسرعة، ومرت الأيام حتى حصلت ليلى على الطلاق أخيرًا. حريتها التي طالما انتظرتها أصبحت بين يديها. أصبحت أقرب لسليم، وكأنهما عادا معًا كما كانا في أيام مراهقتهما. كانت تشعر بفرحة غامرة وهي إلى جانبه. كانت تخرج للعمل، ثم تلتقي به في المساء، وكأن الحياة بدأت تعود إليهما من جديد.

شعر الاثنان أن الوقت قد حان للانتقال بعلاقتهما إلى مستوى آخر. قررا أخيرًا أن يخطبا بعضهما، وأن يبدآ مرحلة جديدة معًا. كانت ليلى في غاية السعادة بهذا القرار، وهي تعيش الأمل أخيرًا.

لكن لم تكن الأمور سهلة كما كانت تتصور. عندما سمعت والدة سليم بالخبر، انفجرت في وجهه برفض قاطع لهذا الزواج. كرهها ليلى كان

واضحًا، وكان قلبها مليئًا بالرفض تجاه هذه العلاقة، لكن علاقتها المتوترة بسليم جعلتها عاجزة عن فرض أوامرها عليه. فلم يكن أمامها سوى أن تحضر حفل زفافه، كي لا تراه يفرح وحده، ولكنها لم تستطيع إخفاء مشاعر الكره التي كانت تجتاح قلبها تجاه ليلى .

بدأ العد التنازلي للزفاف، ولم يتبقَّ سوى يومين فقط على إتمام التحضيرات. كانت ليلى تشعر بتعب شديد، لكن قلبها كان مملوءًا بالسعادة. كانت تكابر، ترفض أن تذهب إلى المستشفى، رغم أن سليم كان قد أخبرها مرارًا أن صحتها يجب أن تكون أولويتها، وأن عليها أن تجري الفحوصات. لكنها أصرّت على أن تعبها بسبب التحضيرات الكثيرة للزفاف، وأنها لا تحتاج إلى زيارة الطبيب.

سليم كان يريد كل شيء أن يكون مثاليًا. صحيح أن ليلى تزوجت من قبل، لكن زواجها من مراد لم يكن مثل أي شيء حلمت به. لم يكن لها عرس، ولم ترتدِ الثوب الأبيض، وكل شيء كان بسيطًا جدًا؛ فقط أخذها إلى البلدية ثم إلى شيخ المسجد. لم يحضر أحد حفل زفافها، ولم يبارك لها أحد. ولكن مع سليم، كان كل شيء مختلفًا. كان يحقق لها كل ما حلمت

به؛ الزفاف الكبير، الثوب الأبيض، الحفل المدهش. أخيرًا، ستحظى بالفرصة لتعيش ما لم تتمكن من العيش به في زواجها السابق.

حان موعد العرس، وكان كل شيء رائعًا كما كانت تحلم. كان الزفاف مفعمًا بالفرح والجمال. لكن هناك شيء كان غير مرئي، شيء يلوح في الأفق. عيون المدعوين كانت مليئة بالسم، متجسدة في الحسد الذي لم تتمكن من تجاهله. كانت نظراتهم مليئة بالاستفهام، كانوا يتساءلون كيف يمكن لشخص مثل سليم أن يقع في حب ليلى. سليم كان الرجل المثالي، الطبيب الوسيم الذي كان يعتبر حلم كل فتاة في المدينة. له منزل مستقل، سيارة فاخرة، وعقلية طموحة. أما ليلى، فقد كانت مجرد امرأة مجهولة النسب، لم يكن لها أي مستوى دراسي، وقد سبق لها الزواج وانتهى بها الأمر أن تكون مطلقة.

كان الجميع ينظرون إليها بتلك النظرات المليئة بالدهشة، كأنها لا تستحق أن تكون إلى جانب سليم. ولكن ليلى كانت تعرف ما في قلبها، وكيف أن سليم هو الشخص الذي أحبته بصدق، وكيف أن هذا الزفاف ليس

فقط حلمًا تحقق، بل بداية حياة جديدة مليئة بالحب والفرح، بعيدًا عن الماضي والأحكام التي يطلقها الآخرون.

تزوج الثنائي أخيرًا، وكانت حياتهما مليئة بالفرح والسعادة. سليم كان في غاية السعادة، فقد أصبح أخيرًا مع ليلى، تلك المرأة التي طالما أحبها. أخذها في شهر عسل طويل امتد لشهرين، حيث تجولا معًا في عدة بلدان. لم يكن شهر عسل عاديًا، بل كان هروبًا من كل شيء، لحظة هروب من الحياة اليومية إلى مكان يشعران فيه بأنهما فقط معًا، دون أي هموم.

وبعد عودتهما إلى أرض الوطن، بدأ شيء غير عادي يحدث. ليلى شعرت بغثيان مفاجئ ودوخة شديدة كل صباح، وهذا ما جعلها تشعر بفرحة عارمة. ظنت في البداية أن هذه الأعراض هي بداية حملها، فهي كانت تنتظر هذه اللحظة بشدة. توجهت إلى المستشفى لإجراء الفحوصات اللازمة، وكانت تنتظر النتائج بشغف وحماس.

دخلت مكتب الطبيب، وعيناها تلمعان بالأمل. قالت، وهي مغمورة بالسعادة: "بشرني يا دكتور، في أي شهر أنا؟"

لكن الطبيب لم يظهر نفس الحماسة. كانت على وجهه ملامح الحزن والأسف. نظر إليها بتعاطف، ثم قال ببطء: "مدام ليلى، أنتِ لستِ حامل."

صُدمت ليلى من الرد، وتساءلت بلهجة مرتعشة: "كيف لستِ حاملًا؟ وكل الأعراض التي أشعر بها كل صباح؟"

قال الطبيب، محاولًا أن يكون هادئًا قدر المستطاع: "أتمنى أن تتحلي بالصبر، ما سأقوله لك قد يكون صادمًا قليلًا."

ليلى، وقد بدأت علامات القلق تظهر على وجهها، قالت بسرعة: "أخبرني يا دكتور، ما الأمر؟"

أجاب الطبيب بنبرة جدية، وهو يحاول إيجاد الكلمات المناسبة: "للأسف الشديد يا ليلى، لديكِ سرطان."

لم تصدق ليلى ما سمعته، وكأن الأرض زلزلت تحت قدميها. "لا، يا دكتور، لا يمكن! كيف يكون هذا؟ أنا بخير، فقط أعاني من أعراض الحمل. لابد أن هناك خطأ في النتائج! أنا بخير تمامًا، ألا ترى؟"

كانت الكلمات تخرج من فمها بصعوبة، كأنها لا تستطيع استيعاب ما يحدث. كان وقع الخبر عليها قاسيًا، وكأنها لم تسمع شيئًا من قبل، وكأنها كانت تتمنى أن يكون هذا مجرد كابوس تنتهي لحظاته، لكنها كانت تواجه واقعًا مؤلمًا، وكان عليها أن تقبل به.

كانت ليلى تسير هائمة في الشوارع، تطوف كأنها شبح بلا روح. خطواتها ثقيلة، وكأن كل حمل العالم أُلقي على كتفيها فجأة. كيف ظنت للحظة أن الحظ قد ضحك لها أخيرًا؟ كيف اعتقدت أن السعادة قد فتحت أبوابها

لها بعد كل هذا العناء؟ لقد تزوجت الرجل الذي أحبته طوال حياتها، الشخص الذي اعتقدت أنه سيكون المنقذ، الأمل الذي ينير ظلام أيامها. لكنها الآن تدرك أن الأمل كان مجرد وهم، مجرد هروب مؤقت من الحقيقة القاسية التي تلاحقها دائمًا.

"لماذا؟" سألت نفسها بصوت مرتجف وهي تنظر إلى السماء. "لماذا أنا؟ ما الذي فعلته يا حياة لتنتقمي مني هكذا؟"

بدأت الذكريات تقتحم عقلها كالسكاكين الحادة. "ولدت يتيمة... عشت وحيدة. تعذبت بأقسى أنواع الألم في الميتم، حيث كنت مجرد فتاة بلا حيلة، تتعرض للتحرش والإهانة دون أن يلتفت أحد لمعاناتي. وعندما ظننت أنني هربت من ذلك الجحيم، ظهر مراد... ذلك المجنون الذي جعل حياتي كابوسًا مستمرًا. تزوجني بالقوة، وأذاقني كل أشكال العذاب. سنوات من الألم والقهر، وأخيرًا عندما انتهى كل شيء، وعندما شعرت بأنني حرة، وعندما تزوجت سليم، الشخص الذي أحببته بصدق... يأتي هذا المرض الخبيث ليعلن بداية فصل جديد من المعاناة."

كانت كلماتها كصدى في الفراغ، لا أحد يسمعها، لا أحد يراها. شعرت وكأنها تُعاقب على جرم لم ترتكبه، وكأن الحياة كانت تتلذذ بجعلها ضحية دائمة.

رفعت رأسها إلى السماء مجددًا، دموعها تسيل على وجهها كأنها أمطار غزيرة. "لماذا أنا؟ هل هناك شيء في هذا العالم يجعلني أستحق كل هذا العذاب؟ ألم يحن الوقت لتمنحيني بعض السلام؟"

لكن السماء ظلت صامتة. الشوارع الخالية كانت باردة كقلب الحياة نفسها. ليلى استمرت بالمشي، بلا هدف، بلا أمل، فقط فتاة تسير بين أزقة مظلمة، تبحث عن إجابة لسؤالها الوحيد: لماذا؟

وصلت ليلى أخيرًا إلى المنزل، أنفاسها متقطعة وعيناها غارقتان بالدموع. فتحت الباب لتجد سليم جالسًا ينتظرها بقلق واضح على ملامحه. وقف على الفور عندما رآها، يتقدم نحوها بخطوات سريعة، وعيناه مليئتان بالأسئلة.

"ليلى، أين كنتِ؟ لقد تأخرتِ كثيرًا، وبدأت أقلق عليكِ. هل كل شيء بخير؟" سألها بصوت يحمل خليطًا من الحب والخوف.

لكن ليلى لم تستطع الرد. وقفت مكانها، تحاول أن تتماسك، لكنها شعرت بأن جدار القوة الذي بنتْه بدأ ينهار. بدأت الدموع تنساب على وجهها دون توقف، وكأنها تحمل ثقل العالم كله في عينيها.

اقترب منها سليم أكثر، يضع يديه برفق على كتفيها. "ماذا يحدث؟ ليلى، أرجوكِ، أخبريني. لقد بدأت أشعر بالخوف حقًا. هل حدث شيء؟"

ظلّت ليلى صامتة، تحاول أن تبحث عن الكلمات المناسبة، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل. كيف يمكنها أن تخبره؟ كيف يمكنها أن تُحول فرحته المنتظرة بخبر الحمل إلى صدمة بهذا الثقل؟

"ليلى؟" قالها سليم بنبرة أكثر جدية، وعيناه تبحثان عن إجابة في وجهها. "هل... هل عاد مراد ليضايقكِ مرة أخرى؟ فقط قولي لي، وسأجعله يندم هذه المرة. أقسم لكِ!"

عند سماع اسم مراد، أغمضت ليلى عينيها بشدة، وكأنها تحاول إبعاد ذلك الماضي المظلم عن حاضرها. أخذت نفسًا عميقًا، لكنها شعرت بثقل كلماتها وهي تنطق: "أنا أموت، يا سليم."

شعر سليم بأن الدنيا توقفت للحظة. ضحك بخفّة، محاولًا تهدئة نفسه من خلال إقناعها بأنها تمزح. "تموتين؟ وأنتِ معي؟ لا تقولي هذا يا ليلى. ماذا يجعلكِ تبكين هكذا؟ أخبريني، أرجوكِ."

نظرت ليلى إليه، وعيناها مليئتان بالألم. بصوت مرتجف، قالت: "أنا مريضة، يا سليم... لدي سرطان."

بدت الكلمات وكأنها صفعة على وجه سليم. وقف مكانه متجمدًا للحظة، ثم هزّ رأسه مبتسمًا ابتسامة مرتبكة. "أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟ نعم، بالطبع تمزحين. تريدين إخافتي فقط، أليس كذلك؟ ليلى، قولي إنها مزحة. أرجوكِ!"

لكن ليلى لم تُجب. فقط كانت واقفة هناك، صامتة، فيما كانت دموعها تقول كل شيء.

حينها، أدرك سليم أن الأمر حقيقي. جسده بدأ يرتجف، وانهار جالسًا على الأريكة، غير مصدق لما سمعه. "لا... لا، ليلى، هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. كيف؟ لقد تزوجنا حديثًا. لدينا أحلام كثيرة لم نحققها بعد. كنت أريد الكثير من الأولاد منكِ. كيف حدث هذا؟ ليلى، أرجوكِ، أخبريني أن هناك خطأ ما!"

اقتربت ليلى منه وجلست بجانبه، تمسك بيده المرتعشة. "أنا آسفة، يا سليم. لم أكن أعرف. لو كنت أعلم، لما سمحت لنفسي بأن أكون عبئًا عليك."

"عبء؟" قالها سليم بنبرة صادمة، ناظرًا في عينيها. "أنتِ حياتي كلها، ليلى. لا تقولي هذا. لن أسمح لهذا المرض أن يأخذكِ مني. سنقاتل معًا، أنا وأنتِ، هل تسمعين؟ أنا هنا، ولن أتركككِ أبدًا."

لكن ليلى، في أعماقها، كانت تعلم أن القتال لن يكون سهلًا، وأن هذا الطريق قد يحمل نهايات لا ترغب في مواجهتها.

أمسك سليم بيدي ليلى، ينظر في عينيها المليئتين بالدموع، وقال بنبرة حازمة مليئة بالحب: "أعدكِ يا ليلى، لن أتخلى عنكِ مهما حدث. أنتِ لستِ وحدكِ في هذه المعركة، أنا معكِ دائمًا."

ظلّا ممسكين بأيدي بعضهما البعض، وكأنهما يحاولان أن ينسيا العالم بأسره. تلك اللحظة، برغم حزنها، كانت مليئة بالحب الحقيقي الذي يتحدى كل شيء. ناما معًا على دموع أحزانهم، ولكنهما كانا أقوى معًا، متحدين أمام المصير.

بدأت رحلة العلاج، وكانت طويلة وشاقة. سليم أصبح كظلّ ليلى، لا يفارقها لحظة. لم يترك طبيبًا أو مستشفى إلا وقام بزيارته معها، يبحث عن أي أمل. لقد أهمل حياته المهنية وكل شيء من أجلها، وكأن حياته توقفت تمامًا عندها.

كانت ليلى تتلقى العلاج الكيميائي، الذي بدأ يأخذ منها كل ما كانت تعتبره جزءًا من هويتها. شعرها الطويل الجميل تساقط، وملامح وجهها تغيّرت بفعل المرض والعلاج. كانت ترى انعكاسها في المرآة وتبكي، لكن سليم كان هناك دائمًا ليُمسك بها قبل أن تسقط.

"أنتِ أجمل امرأة رأيتها في حياتي، ليلى. جمالكِ ليس في شعركِ أو وجهكِ، جمالكِ في قلبكِ، في روحكِ، وفي حبكِ لي."

رغم كلماته التي كانت كالبلسم، لم يكن العالم الخارجي بنفس الرحمة. البعض بدأ يستهزئ بسليم، يسخرون من تفانيه لحبيبة أصبحت "بلا مظهر"، كما كانوا يقولون. الشامتون كانوا يهمسون خلف ظهره، والبعض كان يعبّر عن غبطته بصوت عالٍ، وكأنهم ينتظرون سقوط ليلى ليحلّوا مكانها في حياته.

البنات لم يتورّعن عن محاولة لفت انتباهه، ظنًّا منهن أنه إذا رحلت ليلى، فإن مكانها سيصبح شاغرًا لواحدة منهن. لكن سليم لم يكن يُلقي بالًا لأي منهن، كان يعيش لعالمه الخاص الذي لا يتّسع إلا لليلى.

كل هذا لم يكن سهلًا على ليلى، لكنها كانت تعرف أن سليم هو النور الذي يضيء ظلامها. وبالرغم من أن العلاج كان يُرهقها، فإن وجوده بجانبها جعلها تشعر أن الحياة ما زالت تستحق القتال.

كانت أم سليم تزور ابنها باستمرار، لكنها لم تكن تزور من أجل الاطمئنان، بل لتُسمعه نفس الكلمات في كل مرة: "يا بني، اتركها وشأنها. حياتك تضيع هباءً معها. ماذا ستجني من هذا؟ انظر لبقية الرجال، يهتمون بأعمالهم، ويعيشون حياتهم، ويكوّنون أسراً سعيدة. تزوج امرأة أخرى، امرأة سليمة تستطيع أن تمنحك السعادة وتُنجب لك الأولاد، أريد أن أرى أحفادي قبل أن أموت!"

لكن سليم، الذي اعتاد على هذه المحاولات من أمه، كان يرد بنفس الهدوء الممزوج بالثبات: "يا أمي، أنا لست مثلك. لن أترك شخصًا أحببته عندما يكون في أمسّ الحاجة لي. ليلى ليست عبئًا، هي حياتي. أنا أبيع الدنيا كلها لأجلها، ولن أتركها مهما حدث."

كانت كلماته كالسهم في قلب أمه. شعرت بالانزعاج والغضب، لكنها كانت عاجزة عن الرد. ربما كانت تعرف في أعماقها أنه على حق، لكنها لم تكن مستعدة للاعتراف بذلك.

كانت ليلى تشعر بضغط كبير بسبب هذه المحادثات المتكررة. كانت تعلم أن أم سليم لا تحبها، بل وترى فيها عائقًا أمام مستقبل ابنها. لكن ليلى، برغم ألمها الجسدي والنفسي، لم ترد أن تكون سببًا في شرخ علاقة سليم بوالدته. كانت تحاول دائمًا أن تبقى بعيدة عن هذه النقاشات، لكنها لم تستطع منع دموعها عندما تسمع أم سليم تحاول إقناع ابنها بالتخلي عنها.

ذات يوم، بينما كانت ليلى تجلس وحدها في غرفة المعيشة، دخل سليم وجلس بجانبها. أمسك بيدها وقال: "ليلى، لا تشغلي بالك بما تقوله أمي. أنا معك، وستبقين دائمًا في قلبي، مهما حدث. لا شيء سيُغير حبي لكِ."

أومأت ليلى برأسها وهي تحاول كتمان دموعها، لكنها كانت تعلم أن وجود سليم بجانبها كان كافيًا لجعلها تقاتل، ليس فقط من أجل نفسها، بل من أجله أيضًا.

كان الموعد المنتظر قد حان. جلس سليم بجوار ليلى في المستشفى، قلبه مثقل بالقلق والخوف، لكنه حاول أن يبدو قويًا لأجلها. ابتسم لها ابتسامة خفيفة، لكنها لم تستطع أن تخفي قلقه المتصاعد. الطبيب كان قد حدد موعد العملية صباح الغد، وأخبرهم بضرورة بقاء ليلى في المستشفى هذه الليلة لتجهيزها للعملية.

نظرت ليلى إلى سليم، عينان مليئتان بالدموع والرعب، وقالت بصوت متهدج:

"سليم، أرجوك، عدني بشيء."

مسح سليم دموعها برفق وقال: "أي شيء يا حبيبتي، فقط قولي."

أمسكت بيديه بقوة وكأنها تتشبث به للحياة:

"عدني أنك إذا حدث لي شيء... إذا لم أخرج من هذه العملية... أنك ستعيش حياتك، أنك ستنساني، وتتزوج فتاة أخرى، وتكمل حياتك وكأنني لم أكن موجودة."

ارتجف سليم من كلماتها، وبدت ملامح الغضب والحزن على وجهه، وقال بحزم:

"ليلى، توقفي عن قول هذا الكلام. أنا لن أفقدك، ولن يحدث لكِ شيء. أنتِ أقوى من أن تستسلمي، وأنا أقوى لأنكِ معي. أعدك أنني سأخرجكِ من هنا بنفسي، وسنعود لحياتنا، وسنحقق كل أحلامنا معًا."

حاولت ليلى أن تبتسم وسط دموعها، لتمنحه الطمأنينة التي كان يحتاجها، لكنها لم تستطع كبح الخوف الذي يعتصر قلبها.

خرج سليم من الغرفة، تاركًا قلبه مع ليلى. لم يستطع الذهاب إلى المنزل، فقرر أن يبقى في سيارته خارج المستشفى، يراقب نافذة غرفتها طوال

الليل. نام هناك في السيارة، نومًا مليئًا بالكوابيس التي كانت تذكره بخوفه الأعظم: فقدانها.

مع شروق الشمس، استيقظ على ألم في عنقه بسبب نومته غير المريحة، لكنه لم يهتم. ركض إلى غرفة ليلى ليجدهم يجهزونها لدخول غرفة العمليات. عندما رأته، تركت كل شيء وألقت بنفسها في حضنه، تحتضنه وكأنها تقول وداعًا.

"سليم، أنا خائفة..." قالت بصوت متهدج، وهي تحاول أن تخفي دموعها في صدره.

احتضنها بقوة، وهو يمسح على شعرها برفق، وقال بصوت مرتجف:

"لا تخافي، حبيبتي. أنا هنا. أنا بجانبك. أنتِ قوية، وأنا أول من سترينه عندما تفتحين عينيكِ، أعدك بذلك."

نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالخوف والرجاء:

"أعدني..."

قال بحزم، محاولًا أن يبدو واثقًا:

"أعدك يا ليلى، وأنا لا أحنث بوعودي."

ابتسمت ابتسامة ضعيفة، وتركته يدفع السرير ببطء نحو غرفة العمليات، وهي تترك قلبها معه، بينما هو يترك روحه هناك، متوسلًا إلى السماء ألا يأخذهما القدر من بعضهما البعض.

مرت الدقائق كأنها ساعات، وسليم يجلس في ممر المستشفى، يشعر بثقل الوقت وهو ينتظر خبرًا عن ليلى. لم يكن يستطيع أن يهدأ، كان ينهض ويجلس مرارًا، ينظر إلى باب غرفة العمليات وكأنه ينتظر أن تخرج ليلى الآن وتقول له بابتسامتها المعتادة إنها بخير.

في تلك اللحظات، استرجع كل ما مر بهما سويًا، كيف كانت حياتهما مليئة بالحب والأمل، وكيف قاتلا معًا ضد كل الصعاب. تذكر ضحكتها، كلماتها التي دائمًا ما تمنحه القوة، وكيف أنها بالرغم من كل الألم الذي كانت تعانيه، كانت تضحك فقط لتمنحه الأمل.

جاء الطبيب أخيرًا، وجهه كان خاليًا من أي تعبير واضح. اقترب سليم بخطوات متثاقلة، وكأنه يحمل جبالًا من القلق. قال الطبيب: "سيد سليم، العملية انتهت. الآن كل شيء يعتمد على استجابة ليلى."

شعر سليم برغبة في الانهيار، لكنه تماسك. سأل الطبيب: "هل أستطيع رؤيتها؟"

رد الطبيب: "ستُنقل إلى غرفة العناية المركزة قريبًا. يمكنكم رؤيتها من الخارج، لكنها ستظل تحت المراقبة الدقيقة لعدة ساعات."

انتقل سليم بسرعة إلى غرفة العناية، حيث نُقلت ليلى. وقف خلف الزجاج ينظر إليها، كانت ممددة على السرير، شاحبة، ولكنها بدت كالملاك في عينيه. وضع يده على الزجاج وكأنه يريد أن يلمسها، وقال بصوت خافت: "ليلى، وعدتك أن أكون أول من تفتحين عينيك عليه، وأنا هنا، لن أتحرك حتى تفتحيهما."

مرت الساعات ببطء شديد، وسليم لم يبرح مكانه، عيناه متعلقتان بوجه ليلى. كان يدعو في قلبه بكل ما أوتي من قوة، يتمسك بالأمل الذي زرعه فيها.

وأخيرًا، بدأت ليلى تتحرك قليلًا، فتحت عينيها ببطء. أول ما رأته كان وجه سليم الذي كان يبتسم رغم دموعه التي تملأ عينيه. قال لها بصوت مفعم بالحب: "أهلاً بعودة روحي."

ابتسمت ليلى ابتسامة ضعيفة، وقالت بصوت واهن: "وعدتني أنك ستكون هنا، وكنت."

أمسك سليم بيدها وقال: "وعدي لكِ ليس يومًا أو شهرًا، وعدي لكِ مدى الحياة. سنكمل كل أحلامنا معًا، لأنكِ ستظلين معي دائمًا."

بعد أسبوع طويل من الترقب والقلق، أتى الطبيب أخيرًا حاملاً معه الأخبار التي طالما انتظرها الجميع. نظر إلى ليلى وسليم بابتسامة عريضة وقال:

"لدي أخبار جيدة، ليلى! لقد تجاوبتِ مع العلاج بشكل مذهل، وبدأتِ بالشفاء. أنتِ حقًا محاربة لا تُقهر!"

لم يصدق سليم وليلى ما سمعاه في البداية. للحظة، بدت الكلمات وكأنها حلم بعيد المنال، لكن الحقيقة بدأت تتجلى أمامهما. ارتسمت الفرحة على وجه سليم، واندفع إلى ليلى ليحتضنها بقوة ويطبع قبلة على جبينها، وهو يقول بصوت مليء بالامتنان:

"ألم أخبركِ يا حبيبتي؟ لقد قلتُ لكِ إننا سننجح طالما نحن معًا! أخيرًا... يا إلهي، أخيرًا!"

احتضنت ليلى سليم، دموع السعادة تغمر عينيها، وقالت بصوت مليء بالعاطفة:

"لولاك يا سليم، لما استطعت الصمود. كنت سأستسلم من اللحظة الأولى. شكراً لأنك في حياتي، شكراً لأنك كنت قوتي."

لم يستطع سليم كبح فرحته، فبدأ يرقص بشكل عفوي ومضحك، يلوح بيديه ويقفز في الهواء. انفجرت ليلى والطبيب بالضحك على حركاته، ولم يلبث الطبيب أن انضم إلى رقصة سليم، مشاركًا إياه اللحظة السعيدة. كانت الغرفة تمتلئ بالضحكات، وكأنها تُعلن انتصارًا كبيرًا على الألم والخوف.

قرر سليم أن يجعل خروج ليلى من المستشفى ذكرى لا تُنسى. جهز مفاجأة كبيرة احتفالاً بعودتها، ودعا جميع أصدقائه وأحبائهم. زين المنزل بالأضواء والزهور، وحضّر وليمة فاخرة.

عندما وصلت ليلى إلى المنزل، شعرت بالسعادة تغمر قلبها. كانت المفاجأة أكبر مما توقعت. الجميع كانوا هناك، يهنئونها بسلامتها ويحمدون الله على شفائها. كانت الأجواء مليئة بالحب والفرح، وعيون ليلى تلمع بالامتنان لكل من وقف بجانبها في محنتها.

قال سليم وهو يرفع كأسًا للاحتفال:

"هذا اليوم ليس فقط للاحتفال بشفاء ليلى، بل أيضًا للاحتفال بقوتها وصمودها. ليلى، أنتِ بطلتنا جميعًا!"

صفق الجميع بحماس، بينما شعرت ليلى بأن قلبها مليء بالحب والشكر لهذا الرجل الذي جعلها تشعر بأنها أهم شخص في العالم. كان ذلك اليوم بداية جديدة للحبيبين، بداية حياة مليئة بالأمل والامتنان.

عاد سليم أخيرًا إلى عمله بعد فترة طويلة من الانقطاع، إذ استنزفه القلق والاهتمام بليلى. استقبل زملاء العمل عودته بترحاب كبير، وشعر بأنه يستعيد جزءًا من حياته التي توقفت مؤقتًا. أما ليلى، فقد عادت بدورها إلى روتينها اليومي كزوجة، تعتني ببيتها وزوجها بحب واهتمام، وكأنها تحاول تعويض كل اللحظات التي ظنت أنها قد تُفقدها.

بدأت حياة الحبيبين تعود إلى مسارها الطبيعي ببطء، لكن بروح جديدة ملؤها الامتنان. لقد علّمتهم التجربة القاسية التي مروا بها أن السعادة الحقيقية ليست في خلو الحياة من المصائب، بل في مواجهة تلك المصائب معًا، دون التخلي عن الأمل أو عن بعضهم البعض.

أصبحت أيامهما أكثر هدوءًا، يمضيان وقتيهما في الحديث، الضحك، والتخطيط للمستقبل. في كل مرة ينظر سليم إلى ليلى، يشعر بأنها

أصبحت أقوى، أجمل، وأكثر إشراقًا. أما ليلى، فكانت ترى في عينيه الحنان الذي لم يفارقها حتى في أصعب لحظات حياتها.

كانا يعلمان أن المصاعب قد تعود يومًا، لكنهما أقسما في صمت أن يواجهاها معًا، تمامًا كما فعلا من قبل. الآن، هما أقوى وأكثر إصرارًا على الاستمتاع بكل لحظة في حياتهما.

بعد عدة أشهر من الاستقرار والهدوء في حياتهما، عادت أعراض المرض لتظهر على ليلى مجددًا. كان سليم لا يصدق ما يحدث، فحملها على جناح السرعة إلى المستشفى لإجراء الفحوصات. جلس الزوجان في كرسي الطبيب، ينتظران النتائج بقلق شديد، بينما كانت ليلى تبكي بصمت وسليم يحاول جاهدًا أن يبقي أعصابه تحت السيطرة، لكنه بدا واضحًا أنه لن يتحمل صدمة أخرى.

أخيرًا، دخل الطبيب إلى الغرفة وهو يحمل في يديه أوراق النتائج. جلس بهدوء، يتفحصهما بنظرة متفحصة قبل أن يقول:

"مدام ليلى، جئتِ هنا للفحص المبكر، صحيح؟"

هزت ليلى رأسها بالإيجاب دون أن تنطق كلمة واحدة. أكمل الطبيب:

"حسنًا... لن تتوقعوا ما سأخبركم به."

قاطع سليم الطبيب بنفاد صبر قائلاً: "أرجوك، تحدث وأخبرنا الحقيقة بسرعة!"

ابتسم الطبيب فجأة وقال:

"لا داعي للقلق أو الخوف. مدام ليلى ليست مريضة. في الواقع، هي حامل!"

صُدم سليم لدرجة أنه لم يستوعب ما سمع. وقف على قدميه وهو يردد: "حامل؟ حامل؟ هل هي حقًا حامل؟"

ضحك الطبيب وأكد: "نعم، مبروك لكما! مدام ليلى تنتظر مولودًا."

انفجرت دموع الفرح من عيني ليلى، بينما احتضنها سليم بقوة، وكأنه يحاول استيعاب الخبر السعيد بعد كل ما مرا به. كان هذا الخبر بمثابة شعاع نور بعد الظلام الطويل، وكأن الحياة قررت أن تمنحهما فرصة جديدة للفرح.

مرت عدة شهور، وأصبح بطن ليلى يكبر يوماً بعد يوم، مما جعل سليم يبالغ في تدليلها، لا يتركها تتحرك خطوة دون أن يكون بجانبها. كان حريصًا على طعامها وأدويتها، وكلما كانت تهمس له بأنها ستتعود على هذا الدلال حتى بعد الولادة، كان يبتسم قائلاً:

"سأدللك لأخر يوم في حياتي، يا أميرتي المدللة."

وكان ضحكهما يملأ الأرجاء، حتى أن أم سليم كانت تطير فرحًا بقدوم حفيدها المنتظر، ولا تكاد تترك ليلى يومًا دون زيارة، تتفقدها وتطمئن عليها أثناء غياب سليم عن العمل. وكان الجو بين الجميع يصبح أفضل مع مرور الوقت، وكأن ألوان الحياة بدأت تنبض في المنزل الصغير الذي غمرته السعادة.

وفي أحد الأيام، جلست ليلى مرتاحة على الأريكة في الصالون، بطنها البارز يضفي عليها مزيدًا من الجمال والأنوثة. كانت تمسك هاتفها، تتصفح أحد مواقع البيع على الإنترنت، بينما تأكل بعض الفواكه التي اختارها لها سليم بعناية. فجأة، اهتز هاتفها، وظهرت رسالة من رقم مجهول. فضولها دفعها لفتح الرسالة، وما إن دخلت لترى محتواها حتى سقط الهاتف من يدها، وكأن قلبها توقف للحظة.

الصورة التي كانت في الرسالة كانت صادمة. لم تصدق عينيها وهي ترى ما كان أمامها. هل هذه الحقيقة التي كانت تختبئ في الظلال؟ وهل سيكون لهذا الاكتشاف أثر غير متوقع على حياتها

بينما كانت ليلى جالسة على الأريكة، فاجأتها رسالة أخرى وصلت إلى هاتفها، تحتوي على تفاصيل دقيقة: موعد، مكان، وميعاد. فكرت ليلى للحظة، وفي قلبها اشتعلت نار الشكوك. في البداية، خطر لها الاتصال بسليم، أخباره بكل شيء، لكنها سرعان ما تراجعت عن الفكرة. هل يحتاج سليم لمشاكل إضافية في هذا الوقت؟ هل هي قادرة على تحمل المزيد من الضغوط؟

لا، يجب أن أحل المشكلة بنفسي، فكرت في نفسها. نهضت من مكانها، عازمة على التصرف، وحان الوقت للخروج.

عندما وصلت إلى باب المنزل، اصطدمت بسليم، الذي بدا مستغربًا. سألها:

"أين أنت ذاهبة؟"

تلعثمت ليلى للحظة، ثم أجابت بتردد:

"أنفاسي ضاقت قليلاً هنا في المنزل... أحتاج فقط للخروج لأتنفس قليلًا من الهواء."

لكن سليم لم يقتنع، وأجاب:

"لن تذهبين وحدك، انتظري حتى أغير ملابسي ونخرج معًا."

لكن ليلى أبت أن تذهب معه، وقالت:

"لا، سليم، أنا أريد الذهاب بمفردي."

لاحظ سليم التوتر في حركتها، وتلك اللمعة المريبة في عينيها، فعرف أن هناك شيء تخفيه.

قال بلهجة حازمة:

"ليلى، تعلمين جيدًا أنني أستطيع أن أعرف عندما تكذبين عليّ. أخبريني الآن، ماذا يحدث؟"

أجابته ليلى بسرعة، محاولة إخفاء قلقها:

"لا شيء، سليم، حقًا، لا شيء."

ثم قالت بصوت هادئ:

"حسنًا، سأنتظرك. اذهب وغيّر ملابسك بسرعة."

قال سليم وهو يبتسم:

"لن أتأخر كثيرًا."

لم تأخذ وقتًا طويلًا ليغير ملابسه، وبعد لحظات خرجا معًا. كانت يداهما متشابكتين، ولكنهما كانا يخطوان في صمت، كل واحد منهما غارق في أفكاره. ليلى كانت تفكر في الورطة التي وقعت فيها، وما الذي يجب أن تفعله الآن. هل يجب أن تخبر سليم بالأمر، أم تلتزم الصمت وتخاطر بمواجهة هذا التهديد وحدها؟

فجأة، وكأنها قررت أنه لا بد من مواجهة الحقيقة، قالت:

"سليم..."

رد عليها سليم بصوت ملؤه الحنان، مشجعًا إياها على التحدث:

"نعم، ليلى؟ ماذا حدث؟"

قالت، مع عيونها المملوءة بالتوتر:

"لقد وصلتني رسالة نصية... فيها تهديد واضح."

توقف سليم فجأة، كما لو أن الكلمات التي سمعتها ليلى كانت ثقيلة على قلبه. نظر إليها بتركيز وسأل بلهجة حادة:

"أي رسالة؟ وماذا كان مكتوبًا فيها؟ ولماذا لم تخبريني منذ البداية؟"

نظرت ليلى في عينيه بحيرة وقلق، وقالت بصوت منخفض:

"لم أرد أن أزيد عليك المشاكل."

كان سليم مصدومًا من تصرفها، وأجاب بنبرة جادة:

"أية مشاكل يا ليلى؟ ألم نتفق منذ اليوم الأول لزواجنا أن لا نخفي عن بعضنا أي شيء؟ مهما كانت الأمور صعبة، كنا دائمًا نتحدث ونتناقش."

ثم نظر إليها بشدة، وقال:

"لماذا تخفين عني شيئًا مثل هذا؟"

ليلى، التي شعرت بلهجة سليم الحازمة، تنفست ببطء وقالت:

"أنا فقط... لم أرد أن أقلقك، حقًا."

سليم، وقد أصبح أكثر هدوءًا، قال بلهجة تحوي الكثير من الدهشة:

"أية مشاكل يا ليلى؟ لا تعتقدي أنني لم ألاحظ أن هناك شيئًا مريبًا يحدث. أعطيني هاتفك الآن."

أخذ سليم الهاتف منها دون أن ينتظر جوابًا، فتحه بسرعة وبدأ يتصفح الرسالة.

عيناه اتسعتا وهو يرى الصورة التي أرسلها المجهول. كانت صورة لهما معًا، صورة ليلى وسليم، وقد ملأت الدماء الصورة والسكين الغارق في

وجههما. كان الكلام في الرسالة غير واضح، لكن ما لفت انتباهه أكثر هو ما كتب في الأسفل بخط واضح:

"إذا أردتِ أن لا يحدث شيء لزوجك، تعالي إلى هذا المكان وحدك، في الوقت والمكان المحددين."

ضحك سليم ضحكة باردة، ثم نظر إلى ليلى وقال:

"لا تخبريني أنك كنتِ فعلاً ذاهبة إلى هناك؟"

شعرت ليلى وكأن الأرض ابتلعتها. كانت تشعر بالذنب لعدم إخبار سليم في البداية. أجابت بصوت ضعيف، رأسها منخفض:

"لم أشأ أن أقلقك، حقًا يا سليم."

لكن سليم لم يقتنع بسهولة. ضحك ساخرًا وقال:

"الهدف واضح يا ليلى! هل أنتِ غبية لهذه الدرجة؟ كانوا يريدون استدراجك، فقط لم يكن لديهم خطة دقيقة."

ثم أضاف وهو يضع يده على قلبه:

"والله وحده يعلم ماذا كان سيحدث لك لو لم ألحق بك في الدقيقة الأخيرة. لا أستطيع حتى تخيل ذلك."

شعرت ليلى بقلق عميق في قلبها، وبأن سليم على حق في كل كلمة قالها. نزلت رأسها واعتذرت بصوت منخفض:

"أرجوك، سامحني."

قال سليم، وقد بدأ يشعر بالحاجة إلى اتخاذ إجراء سريع:

"اسمعي، ليلى... لا تردي عليهم. هؤلاء لا يستطيعون فعل شيء لي، ولا يستطيعون تهديدك. فقط انظري ماذا سأفعل الآن."

سألته ليلى، بصوت متوتر:

"ماذا ستفعل يا سليم؟"

أجابها وهو يضغط على هاتفه ليبحث عن رقم الشرطة:

"سأذهب إلى الشرطة، وأوقف هذا الأمر فورًا."

عاد سليم إلى المنزل، وهو يحمل في يده هاتف ليلى كدليل، وتوجه مباشرة إلى الشرطة. كانت القضية قد أخذت منحى جادًا، وبدأ التحقيق يأخذ طريقه الرسمي. كان سليم يشعر بثقل المسؤولية على قلبه، وهو يعلم أن هذه الرسائل التي كانت تتلقاها ليلى تحمل تهديدات جدية قد تضر بها. شعر بشيء غريب يراوده منذ اليوم الأول، لكن الآن أصبح الأمر أكثر وضوحًا، شيء غير مرئي يلاحقهم.

عاد الزوجان إلى المنزل، وكل شيء كان يبدو هادئًا في الظاهر. لكن سليم لم يكن قادرًا على التوقف عن القلق. فكلما نظر إلى وجه ليلى، شعر بأن هناك شيء ما مريب يلوح في الأفق. كان كل تفكير سليم منصبًا على حماية زوجته وطفلهما القادم، فطلب من والدته أن تأتي وتقضي بعض الوقت معهما، وهو يعلم أنها ستكون دعمًا في هذا الوقت العصيب.

في تلك الأوقات التي تخللتها المخاوف والمشاعر المتضاربة، كانت ليلى تتلقى رسائل أخرى. كانت في البداية مجرد تهديدات غامضة، ثم بدأت تأخذ طابعًا أكثر وضوحًا. سب وشتم، كلمات قاسية من شخص مجهول، لكن ليلى لم تخبر سليم بكل شيء، بل كانت تعرض له فقط ما يمكن أن يهدئه قليلاً.

حتى جاء اليوم الذي غير كل شيء. كانت ليلى جالسة على الأريكة، تقلب في هاتفها، عندما توقفت عيناها على الرسالة الأخيرة. "لقد أصبحت قريبًا جدًا"، كتب المرسل، ثم أرسل فيديو.

ضغطت ليلى على الفيديو، وكانت عيناها تنبض بسرعة قلبها. الفيديو كان مصورًا في مكتب سليم، حيث كان يشاهد ذلك المشهد الذي لا يمكن أن يصدق: كان الفيديو يُظهر سليم جالسًا في مكتبه، لكنه كان يبدو بعيدًا عن أي شيء عادي. صوت في الخلفية يقول كلامًا غير مفهوم، كانت تلك لحظات تلتقط صورة لحياة قد تكون في خطر.

عندما انتهى الفيديو، شعر قلب ليلى يتسارع أكثر من أي وقت مضى. وكأن الظلال التي تلاحقهم أصبحت واضحة الآن. عاد بصرها إلى الرسالة المرفقة: "لقد أخبرتك، أنا لا أهدد. بل أهدد." هذه الكلمات كانت كالرصاصة التي دخلت قلبها مباشرة.

ليلى جمدت مكانها، تنفست بصعوبة، وفي قلبها صراع رهيب: هل عليها أن تخبر سليم عن هذا الفيديو؟ هل ستكون كافية لتحميهم من هذا التهديد؟ أم أن هناك شيء أكبر وراء كل ذلك؟ كانت تفكر في كل شيء، وفي كل كلمة، وفي ذلك الشخص الذي دمر حياتها في الماضي، والذي كان يعيد الآن فتح جروحًا قديمة في قلبها.

"ماذا أفعل؟" تساءلت ليلى في نفسها، بينما كانت تلتقط أنفاسها. كانت تدرك أنها في موقف لا يمكن التراجع عنه. فإذا أخبرت سليم، ماذا سيحدث؟ وهل ستتفاقم الأمور أكثر؟ وإذا لم تخبره، هل سيكون ذلك خطأ؟

هذه المرة، كان الصوت الذي يرد في رأسها ليس كأي وقت مضى، كان يخبرها أن هذا ليس تهديدًا عابرًا، بل بداية لمشكلة أكبر، ولكن هل تستطيع التعامل مع هذه الأزمة بمفردها؟

سكتت ليلى ولم ترغب في تخويف سليم أكثر. كان يكفيه ما يحمله من أعباء في هذه الفترة، فلم ترد أن تزيد عليه همًا آخر. تركت الشك والقلق يتسللان إلى قلبها، وأخفَت عن سليم الحقيقة. أخبرته أن كل الرسائل اختفت، وأنه لا داعي للقلق، لكنه لم يصدقها. أصبح كل مرة يفتش في رسائل هاتفها، لكنه لم يجد شيئًا، لأن ليلى كانت تمحو الرسائل على الفور.

اتصل سليم عدة مرات بالشرطة ليستفسر عن تقدم التحقيق، لكنهم كانوا يردون بنفس الإجابة: أنهم يبذلون كل جهدهم للعثور على الجاني. لكنه كان أذكى منهم، فكان يغير رقم هاتفه كل فترة، ويغير الشريحة أيضًا. حتى المكان الذي يرسل منه الرسائل كان يتغير. أصبح القلق واضحًا على

سليم في الآونة الأخيرة، لكنه لم يظهر ذلك أمام ليلى، وكان يطمئنها دائمًا أنه لا يوجد شيء يستدعي القلق.

لكن ليلى كانت تعرف أنه كان يشك في الأمر. كانت تخشى أن يعرف الحقيقة فيفقد ثقته بها. ومع ذلك، كانت تحاول جاهدة أن تبقيه هادئًا ومطمئنًا، حتى وإن كانت تخفي عنه ما يحدث في الظل.

استعدت ليلى للخروج من المنزل لتذهب إلى طبيبة النساء من أجل تثبيت موعد ولادتها. لكن عندما شعرت أن أم سليم في حالة صحية سيئة للغاية، قررت أن تذهب وحدها. قالت بلطف لأم سليم:

"لا بأس يا خالتي، سأذهب لوحدي، ولكن من فضلك لا تخبري سليم."

أجابتها أم سليم بصوت ضعيف:

"حسنًا، إذهبي، لكن لا تتأخري واطمئني عليّ فور وصولك."

ابتسمت ليلى وأجابتها:

"حسنًا يا خالتي، لا تقلقي، سأتصل بك لأخبرك بكل شيء."

ثم خرجت ليلى من المنزل، كانت تبدو كالملاك. في أشهرها الأخيرة من الحمل، ارتدت معطفًا أبيض، سروال جينز أزرق، وحذاء عالي أسود، وأكملت مظهرها بقبعة بيضاء. كانت تمشي بخطوات صغيرة في الشارع، وكأنها تسبح في بحر من النقاء.

لكن الحياة كانت تخبئ لها مفاجأة لم تكن تتوقعها. وبينما كانت تقطع الشارع، فوجئت بسيارة مسرعة تصدمها بقوة. سقطت على الأرض، وغرقت في دمائها، حتى أن اللون الأبيض الذي كانت ترتديه تحول إلى أحمر. تجمّع الناس حولها، محاولين مساعدتها، وأسرعوا في الاتصال بالإسعاف.

بينما كانت ليلى فاقدة الوعي، تساءل الجميع: هل ستنجو تلك المرأة المسكينة الحامل؟

أسرعت سيارة الإسعاف، وصوتها العالي يعبر عن قدومها السريع. حملت ليلى بين يدي المسعفين وكأنها في عالم آخر، فاقدة للوعي، وغارقة في دمائها. كان الناس من حولها في حالة من الارتباك والقلق، يتساءلون عن هويتها، ومن تكون عائلتها. وبالفعل، كان أحدهم قد تعرف عليها، وأخبر الجميع أنها زوجة الدكتور سليم. على الفور، قام أحدهم بالاتصال به، وأخبره بما حدث.

كان سليم في عيادته، يعاين مرضاه بهدوء، لا يعرف ما ينتظره. فجأة، رن الهاتف، فرفع سماعته، وتساءل بصوت عميق:

"ألو، من معي؟"

"دكتور سليم؟"

"نعم، أنا هو."

"هل المدام ليلى هي زوجتك؟"

"أجل، هي زوجتي. ماذا حدث؟"

"للأسف، دكتور، زوجتك تعرضت لحادث سير، وهي الآن في طريقها إلى المستشفى. لا نعلم وضعها حتى الآن."

سقط الهاتف من يد سليم، وكأن الأرض انشقت تحت قدميه. في لحظة، تاه عقله بين كلمات المتصل، وتردد صوته في ذهنه: "كيف؟ كيف يمكن أن تكون ليلى؟ لا، لا يمكن أن تكون ليلى."

لقد تركها في المنزل، حتى أنه نبه والدته أن لا تتركها تخرج بمفردها إلى أي مكان. كيف حدث هذا؟

سقط سليم على ركبتيه، كان كطفل صغير في لحظة من الضعف التام. لا يدري ماذا يفعل الآن. تساءل في نفسه هل ستموت؟ هل سيفقدها؟ ماذا لو رحلت عن حياته؟

لكن فجأة، مسح دموعه بيديه وقال بصوت مملوء بالتصميم:

"لا، لا يمكن أن تموت. ليلى قوية، قد واجهت أصعب من هذا، وتخطته. لن تتركني بهذه السهولة. نعم، هي قوية. هي ستعود."

وانطلق مسرعًا إلى المستشفى، كل خطوة يشعر بثقل العالم على قلبه، وكل لحظة كأنها دهور.

وصل سليم إلى المستشفى كالمجنون، قلبه يكاد يقفز من صدره، وعقله لا يستوعب ما يحدث. هرع نحو الطاقم الطبي، يسأل عن ليلى، وعن وضعها، وعن كل شيء يتعلق بها. وفي اللحظة التي اقترب فيها من الطبيب، قال الطبيب بلهجة جادة:

"أنت سيد سليم؟"

أجاب سليم بصوت متوتر، وهو يكاد لا يصدق ما يحدث:

"نعم، أنا هو... ماذا حدث؟ أين هي ليلى؟"

"تعال معي، أحتاج لك."

دخل سليم مع الطبيب إلى غرفة الطوارئ، وعيناه تتنقلان بين الوجوه القلقة، كل شيء يبدو ضبابياً. قال الطبيب بوضوح، وهو يحاول التخفيف من صدمته:

"زوجتك الآن بحاجة لدعائكم، يا سليم. هي في غرفة العمليات الآن، ووضعها غير مستقر. لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك. ما نحتاجه الآن هو الدعاء، هي بحاجة له. الطفل في وضع خطير."

سقط سليم على ركبتيه وكأن الأرض قد انشقت من تحت قدميه. كانت الكلمات الثقيلة تتردد في عقله، وقلبي يكاد يتوقف. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ كيف يمكنه أن يتحمل فكرة فقدانها؟

بعد لحظات من الصمت العميق، دخلت والدته، وهي تهرول نحو سليم، محاولًا أن تبرر لها حضورها بعد ما حدث. كانت تطلب السماح، ولكن

سليم، الذي كانت دموعه تسيل بلا توقف، نظر إليها بعينيه المملوءتين بالحزن، وقال بصوت مخنوق، لا يكاد يُسمع:

"هذه ثاني مرة تخذليني يا أمي... لا أستطيع أن أتحمل هذا بعد الآن."

كانت كلماته أشبه بصفعة لها، كان يشعر أن العجز يسيطر عليه، وأنه لا يستطيع فعل شيء سوى الانتظار.

خرج الطبيب من غرفة العمليات، وعيناه تحملان مزيجًا من الحزن والارتياح. نظر إلى سليم وقال، بصوت هادئ لكنه يحمل شيئًا من التفاؤل:

"مبروك يا سليم، لقد أُتيتَ بطفل."

كانت الكلمات كالشمس التي تشرق فجأة في عتمة الليل. امتلأت عينا سليم بالدموع، وبالكاد استطاع أن يمسك نفسه من الانفجار فرحًا. الطفل... مولوده الجديد... جزء منه، جزء من ليلى، جاء إلى العالم لينير الظلام الذي يحيط بحياتهم.

لكن لحظة الفرح لم تستمر طويلًا. سرعان ما تغيّرت ملامحه، وكأن قنبلة انفجرت داخله. تذكر فجأة أن ليلى، حبيبته، زوجته، التي كانت تشارك معه هذه اللحظة، كانت هناك... في غرفة العمليات، ولا أحد يعرف عن حالتها شيئًا.

بصوت متوتر، وبشدة، سأل سليم:

"طمني يا دكتور... كيف حال زوجتي؟"

خفض الطبيب رأسه، وكانت ملامحه تعكس القلق. شعر سليم بشيء غريب، كما لو أن قلبه توقف عن الخفقان.

"للأسف، يا سيد سليم، زوجتك في حالة حرجة. كما أخبرتك سابقًا، وضعها غير مستقر. هناك نزيف حاد حاولنا إيقافه، لكن لم نتمكن من السيطرة عليه بالكامل. هذه الساعات القادمة هي التي ستقرر مصيرها. ما عليك سوى الصبر والدعاء لها."

كانت الكلمات كالسكاكين في قلب سليم. كأن الحياة تلاعبه، وتدفعه إلى حافة اليأس. كيف يمكنه أن يفرح بمولوده الجديد بينما حبيبته في خطر؟

جلس سليم على مقعده، عينيه مغرورقتين بالدموع. بدا كأن الزمن توقف حوله، والصوت الوحيد الذي كان يسمعه هو دقات قلبه المتسارعة، التي لم تكن تجلب له إلا الألم.

مرت الدقائق ثقيلة، ثقيلة كأنها سنوات، وسليم لا يزال يقف في مكانه، قلبه يرفرف بين الأمل واليأس. في يده الصغيرة كان يحمل الطفل، الذي كان يشبه ليلى في عينيه، في تلك الملامح الدقيقة التي حملت صورة حبه

وحياته. كان كالملاك في صمت، ينام في راحة لا يشوبها قلق. نظر إليه سليم قليلاً، ثم بدأ في الأذان في أذنه، كما لو كان يريد أن ينقل له أملًا، أو ربما يروي له قصة عن أمه، التي ستسميه بعد أن تصحو من غيبوبتها.

كان سليم يعرف تمامًا أن هذا الطفل، رغم جماله الذي أسكت كل الكلمات، هو نتيجة حب عميق بينه وبين ليلى. لكنها هي التي يجب أن تختار الاسم، هي التي يجب أن تكون حاضرة في هذه اللحظة. فبدونها، لم يكن للأمر معنى.

مرَّت الساعات كأنها أعوام. كلما مرَّ طبيب، كان قلب سليم يضيق في صدره. لم يكن أحد يخبره عن شيء، وكلما رأى الممرضات يمرون بسرعة، كان يأمل أن تكون الأخبار إيجابية. لكنه كان يعلم في داخله أن هناك شيء ما ليس على ما يرام.

أمه لم تتركه، كانت تواسيه وتحاول أن تهدئ من روعه. مدت يديها له، وكأنها تقول له: "أنا هنا، لا تخف." كان يلتقط تلك اللحظات من قوتها، يشعر بحاجته إليها أكثر من أي وقت مضى، كما لو أن جسده كله يحتاج إلى عناقها، لحظة تواسيه كما لو كان طفلاً صغيرًا. كانت تمسح على

رأسه، تقرأ القرآن بهدوء، لعله يجد في الكلمات راحة لقلبه الذي تكسر من شدة الألم.

ثم، فجأة، مع أول خيوط الفجر، وبشروق الشمس الذي لون السماء بأشعتها الذهبية، بدا أن الضوء يعيد الأمل إلى المستشفى، لكن داخل قلب سليم، كان الظلام يزداد كثافة.

فجأة، سمع صوت أقدام مسرعة. فتح عينيه، ليتوجه نظره نحو الممر، فوجد الطبيب والممرضة يسرعون باتجاه غرفة ليلى. قلبه توقف للحظة، شعر بشيء غريب، شيء مرعب، وكأن كل شيء قد انقلب رأسًا على عقب.

ركض باتجاههم، قلبه ينبض بسرعة كما لو أنه يتسابق مع الوقت، وما إن وصل إلى الباب، حتى اصطدم بنظرات الطبيب التي لم تكن تحمل في طياتها أي أمل. كان جهاز القلب يصرخ في صمت، معلنًا عن توقف قلب ليلى.

كانت الممرضة تجلب المعدات الطبية، والطباء يهرعون حول سريرها، يحاولون تدليك قلبها، ويمررون شحنة كهربائية لعلها تعيد لها الحياة.

لكن سليم، الذي كان يقف مشلولًا، كان لا يعلم ماذا يفعل. لا يفهم ما يحدث، هل ما يحدث أمامه هو حقيقة أم كابوس؟ كان يقف، غير قادر على الحركة، لا يصدق ما يحدث أمامه. كانت حياته، التي بنهاها مع ليلى، تتداعى أمام عينيه.

خرج الطبيب من غرفة العمليات، وكان وجهه محملاً بحزن عميق. وقفت الكلمات على شفتيه، لكنه نطق بها أخيرًا، وكأنها سهم مغروز في قلب سليم، يترك جرحًا عميقًا لا يمكن شفاؤه. قال الطبيب بصوت خافت، مع نظرة آسفة: "إنا لله وإنا إليه راجعون... تحلَّ بالصبر يا سليم... ليس من أجل نفسك، بل من أجل ابنك. لو كانت على قيد الحياة، لكانت هذه هي إرادتها، أن تكون قويًا من أجل طفلك."

كانت الكلمات تقطر مرارة، ومع كل كلمة كان سليم يشعر بأن قلبه ينهار أكثر. كان يقف هناك، عاجزًا عن النطق، وكان لا يصدق ما يسمع. لم يكن عقله قادرًا على استيعاب ما يحدث، كان كل شيء يبدو ضبابيًا وكأن الزمن توقف في تلك اللحظة.

بينما كان الطبيب يبتعد، نظر سليم في الممر، حيث كان الممرضون يغطون جسد ليلى. كان يغطيها ببطء، بعناية، ويفرد الإزار الأبيض عليها، وكأنهم يضعونها في تابوت من أجل الوداع الأخير.

لم تتحرك. لم تتنفس. كان الصمت هو ما يعم المكان. سليم وقف هناك، وقد تجمدت مشاعره، وكأن عقله يرفض تصديق هذه الحقيقة القاسية. هل يمكن أن تكون ليلى قد رحلت حقًا؟ هل حقًا فقدها إلى الأبد؟

بكى بصمت، كأن الكلمات عجزت عن التعبير عن فداحة ما يشعر به. كانت الدموع تتساقط على وجنتيه، ولكنه كان يتألم بصمت، لا يستطيع أن يصرخ، لا يستطيع أن يعبر عن الألم الذي يمزق قلبه. كان يرى أمامه

المشهد، وكأن كل شيء ضاع في لحظة واحدة. هل هو في حلم مزعج؟ أم أنه في كابوس؟ لم يكن يعلم. لكن الشيء الوحيد الذي كان يعرفه هو أنه فقد ليلى إلى الأبد.

كانت لحظة أشبه بالكابوس الذي لا ينتهي. كان سليم واقفًا في مكانه، عينيه شاردتين، وحواسه مشوشة بين الواقع والخيال. فجأة، أصبح يرى خيالات ليلى في الهواء، يراها أمامه ضاحكة، يسمع صوتها يهمس في أذنه كأنها لم تبتعد عنه أبدًا. كل شيء حوله كان محاطًا بالصمت، وكأن الزمن نفسه قد توقف عند تلك اللحظة الأليمة.

صرخ سليم بأعلى صوته، خرجت منه صرخة لا يستطيع تفسيرها، كأنما يحاول إخراج كل الحزن والألم الذي يحمل في قلبه. بدأ يتنقل في المكان كالمجنون، عينيه لا تفارقان صورة ليلى التي كانت في خياله، ضحكاتها التي ما زالت تردد في أذنه وكأنها حية بين يديه.

والدته كانت تدير الأمور، تحضر للجنازة وتهتم بكل شيء، بينما هو لم يكن يدرك ما يجري حوله. حملوا ليلى إلى المغسلة حيث تم تغسيلها وتكفينها، كل شيء كان هادئًا وكأن الموت هو ما جعل اللحظات تصبح ثقيلة. وعندما طلبوا منه أن يلقي عليها نظرة الوداع الأخيرة، كان قلبه يكاد يتوقف. دخل إلى الغرفة، ووقفت أمامه ليلى، وجهها شاحب، عيونها مغلقة، لكنها في خياله كانت تبتسم له، تغمزه بعينيها العسليتين كما كانت تفعل دائمًا.

انفجر سليم في نوبة جنونية، قبّل وجهها بحب، همس في أذنها وكأنها لا تزال حية: "ليلى، حبيبتي، أعلم أنك لازلت هنا، أرجوك استيقظي! أريدك أن تري طفلك، أن تري كم هو جميل، يشبهك تمامًا، كأنه أنت... دعيني آخذك إلى منزلنا، هذا المكان لا يناسبك، إنه بارد جدًا، هيا، انهضي، أخبريهم أنك لازلت حية!" كان يردد كلمات لا يعلم إن كانت ستصل إليها، كأن قلبه يرفض تصديق الحقيقة المرة.

لكن الناس من حوله حاولوا تهدئته، وهم يهمسون له أن يتحلى بالصبر. ضحك سليم، ضحكة يائسة، وقال: "كيف لي أن أتحلى بالصبر؟ هي كانت

حياتي! كيف يسرق مني القدر كل شيء؟ أعطاني إياها ثم أخذها، ثم أعادها لي مجددًا، والآن أخذها مني للأبد!" كانت كلماته تتناثر في الهواء، يتألم، ينزف من الداخل، لا يعرف كيف يتجاوز تلك اللحظة التي فقد فيها كل شيء.

وحين حملوا جنازتها، كان سليم عاجزًا عن الوقوف. انهار على الأرض وهو يبكي، قلبه ينفطر من الألم. طلب أن يُدفن إلى جانبها، فهو لا يستطيع العيش بدونها. "ادفنوني معها، أرجوكم... لا أريد العيش دونها، أنا لا أستطيع الحياة بدونها... دفنوني معها!" كانت كلمات ضعيفة، متوسلة، لكنها كانت صادقة من أعماق قلبه.

أصبح سليم كمن يعيش في كابوس دائم، ضائعًا في النهار كالأعمى التائه، لا يعرف طعمًا للراحة أو السلام. كان لا ينام إلا بعد تناول المسكنات، وحين يصحو ولا يجد ليلى إلى جانبه، يعود إلى النوم مجددًا هربًا من واقعه القاسي. حاول إنهاء حياته عدة مرات، لكن والدته كانت دائمًا تقف بينه وبين الموت، تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تنقذه من نفسه.

تخلى عن كل شيء، عن حياته، عن وظيفته التي كانت تعني له الكثير، حتى عن ابنه الصغير الذي لم ينظر إليه أو يحمله بين يديه يومًا. ترك مسألة تسميته لوالدته، التي اختارت له اسم "وائل".

كانت حياته تتدهور يومًا بعد يوم، بدا كالمتشرد، يائهًا، هائمًا في الطرقات وكأنه فقد كل معنى للحياة.

وفي يوم من الأيام، دق باب المنزل رجال الشرطة. استقبلتهم والدته بقلق وخوف في قلبها، فأخبروها أنهم يمتلكون أدلة تثبت أن موت ليلى لم يكن حادث مرور عاديًا، بل جريمة قتل متعمدة.

ذهبت الأم مسرعة إلى غرفة سليم، الذي كان في حالة شبحية، لتنقل له الأخبار. استيقظ من نومه كالمجنون، عينيه مليئتان بالذهول. جلس أمام رجال الشرطة وهم يحاولون شرح الأمر له بهدوء يناسب حالته المتدهورة.

قال أحد الضباط: "سيد سليم، زوجتك لم تُقتل في حادث مرور كما كنا نعتقد، لقد كانت جريمة مدبرة."

تصلب وجه سليم، وحبس أنفاسه للحظة، قبل أن يسأل بصوت متهدج: "ماذا تعنون؟ كيف حدث هذا؟"

أجاب الشرطي: "هل تعرف شخصًا يدعى مراد؟"

شحب وجه سليم عند سماع الاسم، وأجاب: "نعم، مراد كان طليق ليلى."

أكمل الضابط: "للأسف، مراد هو من قام بدهس زوجتك. لقد أمسكنا به واعترف بجريمته. قال إنه لم يكن ينوي قتلها، بل أراد الانتقام منها فقط. لكن الأمر انتهى بما انتهى. يبدو أن مراد يعاني من اضطرابات عقلية شديدة، وبعد سماعه خبر موت ليلى، انهار تمامًا وانتهى به المطاف في مستشفى الأمراض العقلية."

نظر سليم إليهم بعينين خاويتين، ثم بصوت خافت قال: "ما فائدة هذه الأخبار الآن؟... هي ماتت... انتهى كل شيء."

وقف بهدوء وترك الغرفة، تاركًا والدته والشرطة في حالة من الحيرة والذهول، وهم يشاهدون رجلاً محطمًا، فارغًا من الداخل، لا شيء يمكنه أن يعيد إليه نبض الحياة.

استيقظ سليم على صوت بدا وكأنه صفعة خفيفة على خده. فتح عينيه ببطء، متثاقلًا من النوم، ليرى نفسه في غرفة تبدو مألوفة ولكنها غريبة في آن واحد. كانت الأشياء حوله مختلفة، كأنها مرت عليها سنوات. قلبه يخفق بشدة دون سبب واضح. نظر إلى يديه، إلى الجدران، إلى التفاصيل الصغيرة التي لم يكن يتذكرها.

سمع صوت طفل صغير، ينادي بمرح: "بابا، استيقظ!"

تجمد في مكانه، وجهه شاحب وكأن الحياة فرت منه. التفت نحو الصوت فرأى طفلًا في الخامسة من عمره يلعب بسيارة صغيرة، ابتسامته بريئة وعيناه تشبهان ليلى، عينيها العسليتين اللتين لطالما أذابتا قلبه.

"من أنت؟" سأل سليم بصوت مخنوق، متردد بين الحقيقة والهلوسة.

أجاب الطفل بابتسامة عريضة: "أنا وائل... أنا ابنك، بابا. ألم تعرفني؟"

شعر سليم وكأن الزمن توقف. حدّق في الطفل وكأنه أمام مرآة تعكس ماضيه ومستقبله في آن واحد. "ابني؟ مستحيل... وائل كان صغيرًا... لقد وُلِد بالأمس فقط... هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا. ما الذي يجري هنا؟"

جاء صوت والدته من خلفه، صوتها مشوب بالحزن والتعب: "لا، يا بني. لم يكن وائل صغيرًا بالأمس... لقد مرت خمس سنوات، وأنت لم تكن معنا لتراها."

التفت إليها بذهول، يحدق في وجهها الذي خطت عليه السنوات تجاعيد لم تكن موجودة. "خمس سنوات؟ كيف؟ أمي، ما الذي تتحدثين عنه؟"

تقدمت نحوه ببطء، وعيناها تدمعان، وقالت بنبرة متعبة: "لقد كنت في عالم آخر يا بني، غارقًا في حزنك، بعيدًا عنا وعن الحياة. تلك المشروبات التي كنت تتناولها، الصور والفيديوهات التي كنت تنام معها، دفنتك في غيبوبة من نوع آخر. كنت حيًا بجسدك فقط، أما روحك... فقد ماتت مع ليلى."

شعر سليم وكأن الأرض تنسحب من تحته. خمس سنوات؟ كيف مضت دون أن يشعر بها؟ نظر إلى الطفل الذي يراقبه بفضول، ثم عاد بصره إلى والدته التي كانت تمسح دموعها بخفية.

"أمي... ماذا حدث خلال هذه السنوات؟"

"حدث الكثير، يا بني. وائل كبر أمام عينيّ، لكنه لم يجد أبًا يسانده أو يحتضنه. كنت أربيه وحدي، أحمله بين ذراعي وأنا أرى في كل يوم صورتك

الغائبة. حاولت يا بني... حاولت كثيرًا أن أخرجك من حزنك، لكنك لم تستجب. كنت تجلس في الظلام، غارقًا في ذكريات ليلى، بينما الحياة تمضي من حولك."

تقدم وائل بخطوات صغيرة نحو سليم، ومد يده ببراءة: "بابا، هل ستلعب معي؟"

شعر سليم بوخزة في قلبه. تردد للحظة، ثم مد يده بتردد ليمسك يد الطفل الصغيرة. كان هذا اللمس أشبه بتيار كهربائي يعيده إلى الواقع.

"ابني..." همس سليم، وهو ينظر في عيني الطفل. دموعه تنهمر دون توقف. شعر بثقل السنوات التي ضاعت، لكنه أدرك أيضًا أن أمامه فرصة ليبدأ من جديد.

ربتت والدته على كتفه وقالت بصوت حنون: "لا يزال أمامك الوقت يا بني. ليلى رحلت، لكن وائل هو امتداد لها... لا تخذله كما خذلت نفسك."

أغمض سليم عينيه للحظة، ثم نظر إلى ابنه وابتسم بخفة، لأول مرة منذ سنوات. "وائل... دعنا نبدأ من جديد."

لقد نسي سليم نفسه في طيات الزمان، عالقًا بين ماضٍ أليم وحاضرٍ مفقود، وكأن حياته توقفت منذ رحيل ليلى. لم يكن يعيش في الحاضر بل كان يغرق في بحرٍ مظلم من الذكريات، غير قادر على السباحة للخروج من تلك الدوامة. كان يشعر وكأن الزمن لم يعد يعنيه، وكأن نبضات قلبه توقفت مع نبضات قلبها.

وفي لحظة استيقاظٍ مفاجئة، لم يكن يعرف كيف حدث ذلك. ربما كان صوت الطفل، وائل، أو نظرة أمه الحزينة التي اخترقت ضباب عقله، لكنها كانت كافية لتوقظه من سباته.

ابتسم بمرارة وهو يفكر في سخافة حاله. "أنا طبيب نفسي، أساعد الآخرين على إيجاد طريقهم، ومع ذلك ضعت في متاهة لم أستطع الخروج

منها بنفسي. يا لسخرية القدر!" ضحك بسخرية، لكن ضحكته كانت مليئة بالوجع، كأنها صرخة مكتومة تطلب النجدة.

بدأ يدرك الآن حجم الهوة التي حفرها لنفسه، كيف أصبح مجرد ظل لإنسان كان يومًا ما يحلم ويضحك ويعيش. لكن السؤال الذي لم يتركه: "كيف؟ كيف استطاع دماغي أن يستجيب فجأة؟ كيف استيقظت من هذه الغيبوبة التي حشرت نفسي فيها؟"

ربما كان الأمر أشبه بضربة قاضية من القدر، صرخة أخيرة من داخله تقول: "يكفي! لقد خسرت ليلى، لكنك لن تخسر كل شيء."

شعر وكأن شيئًا في داخله يتغير، شرارة صغيرة، أمل خافت كان مختبئًا في أعماقه طوال الوقت. أمله في وائل، في فرصة لإصلاح الماضي، في أن يجد طريقه من جديد.

ربما كانت تلك الشرارة هي ما أنقذته... أو ربما كانت ليلى، من عالمها الآخر، ترسل له رسالة بأن الوقت قد حان ليعيش، لا ليموت معها.

عاد سليم ليكون إنسانًا اجتماعيًا مرة أخرى، وكأنه قرر أن يخلع عباءة الحزن التي أثقلت روحه لسنوات. وقف أمام المرآة، حلق لحيته التي كانت تخفي ملامح وجهه المرهقة، ورأى لأول مرة منذ زمن طويل صورته الحقيقية تعود تدريجيًا.

دخل إلى الحمام، تاركًا الماء يتدفق فوق جسده، وكأنه يغسل كل الألم الذي تراكم داخله. شعر بالراحة، وكأن هذا الحمام لم يكن لتنظيف جسده فقط، بل لتطهير روحه التي كانت مكبلة بالهموم.

اختار أجمل ما يملك من ثياب، قميصًا أبيض ناصعًا وسروالاً أسود أنيقًا، ورش عطوره الفاخرة التي كانت مركونة في خزانته لسنوات. وقف للحظة أمام مرآته، محاولًا أن يتعرف على الرجل الذي يحدق به.

أمسك مفاتيح سيارته بحزم، وكأنه يأخذ قرارًا حاسمًا، وانطلق يقود بسرعة نحو المجهول. لم يكن يعلم أين سيذهب، لكن قلبه كان يوجهه، وعقله اللاواعي كأنه يمسك بزمام الأمور.

توقف فجأة أمام مكان لم يكن يتوقعه... نزل من سيارته بخطوات مترددة، ووجد نفسه أمام المقبرة، المكان الذي احتضن حب حياته. وقف هناك، يحمل بين يديه باقة من الزهور البيضاء، وعيناه تملؤهما الدموع.

اقترب ببطء من قبر ليلى، جاثيًا على ركبتيه، وضع الزهور على قبرها، وقال بصوت متهدج:

"ليلى... أنا هنا... بعد كل هذا الوقت، أنا هنا لأخبرك أنني سأحاول أن أعيش. سأكون الأب الذي حلمتِ أن أكونه لوائل. لكنني سأظل أحبك للأبد... كنتِ وستبقين روحي."

في تلك اللحظة، شعر وكأن الهواء أصبح أخف، وكأن حملًا كبيرًا أُزيح عن صدره. غادر المكان، وداخل قلبه عزم جديد على المضي قدمًا، ليس نسيانًا، بل تكريمًا للحب الذي عاشه معها.

قاد سليم سيارته هذه المرة نحو وجهة مختلفة، وكأن قلبه يقوده لاتخاذ خطوة أخيرة لإنهاء صفحة مظلمة من حياته. كانت أضواء المدينة تتلاشى خلفه، وكلما اقترب من وجهته، كان يشعر بضغط غير مرئي يثقل صدره.

وصل إلى المستشفى، ذلك المكان الذي طالما ارتبط بالألم والفقد في ذاكرته. مشى في ممر طويل، عاقدًا العزم على المواجهة التي طال تأجيلها. عينيه تبحث عن رقم الغرفة 106.

وقف أمام الباب لثوانٍ، وكأن الزمن توقف. استجمع أنفاسه ودفع الباب ببطء. كانت الغرفة باردة وصامتة إلا من صوت الأجهزة الطبية الخافتة. هناك، على السرير أمامه، جلس مراد.

كان يبدو كظل طويل، جالسًا بصمت، يحدق في الفراغ وكأنه يبحث عن شيء لن يعود أبدًا. عيناه الزائغتان تخبران عن عقل أنهكه الجنون، ووجهه شاحب كأنه فقد كل معنى للحياة.

خطا سليم عدة خطوات للأمام، مترددًا في البداية، لكنه قرر أن يواجه هذا الرجل الذي كان سببًا في ألم لا يوصف. جلس أمامه بصمت رهيب، وكأن الهواء بينهما مثقل بالأسئلة التي لم تُطرح والأجوبة التي لا تُقال.

رفع مراد عينيه ببطء لينظر إلى سليم. للحظة، لم يظهر أي تعبير على وجهه، وكأنه لم يتعرف عليه. ثم، بصوت مبحوح بالكاد يسمع، قال:

"سليم... هل أتيت لتأخذني؟"

سليم ظل صامتًا، محاولًا كبح مشاعر الغضب والشفقة التي تتصارع داخله. أخيرًا، رد بصوت منخفض:

"لا، مراد. لم آتِ لأخذك... أتيت لأفهم. لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟"

انفجر مراد في ضحكة هستيرية قصيرة، ثم توقف فجأة وأخفض رأسه. قال بصوت مليء بالأسى:

"كنت أريد الانتقام... لكنها لم تكن تستحق... لم أكن أريد قتلها، كنت أريد أن أؤلمها كما آلمتني... لكن الأمور خرجت عن سيطرتي."

سليم نظر إليه بعينين مليئتين بالدموع والغضب المكبوت. وقف ببطء وقال:

"لقد أخذتَ مني كل شيء، مراد. ولكنك لم تأخذ مني قدرتي على المسامحة. سأحاول أن أغفر لك... ليس من أجلك، بل من أجلي، ومن أجل ابني. لكنك ستبقى هنا، حيث تنتمي، في هذا الظلام الذي اخترته بنفسك."

خرج سليم من الغرفة بخطوات ثابتة، تاركًا وراءه عبئًا ثقيلًا من الألم. لقد أدرك أن الماضي لا يمكن تغييره، لكنه يستطيع اختيار كيف يعيش مستقبله.

أخيرًا، وبعد سنوات من الألم والمعاناة، شعر سليم بنسمة حرية تتسلل إلى روحه. كانت هذه أول مرة منذ رحيل ليلى يستطيع فيها أن يستنشق الهواء دون أن يثقل صدره، وأول مرة يشعر بأن للحياة طعمًا يمكن استساغته. كانت روحه، التي أنهكتها الأحزان، تعود إليه تدريجيًا، وكأنها تطمئنه أن الوقت قد حان للمضي قدمًا.

وقف في حديقة منزله، والشمس تداعب وجهه بخيوطها الذهبية. إلى جانبه كان يقف ابنه وائل، طفل صغير يحمل ملامح والدته بكل تفاصيلها، وكأن ليلى لم تغب يومًا. أمسك سليم بيد ابنه الصغيرة، نظر إليه بحنان لم يشعر به منذ زمن، وقال بصوت منخفض كأنما يخاطب روحه:

"ها نحن، أنا وأنت، يتيمان مجددًا... لكننا سنتعلم كيف نعيش، كيف نبتسم، وكيف نصنع من هذه الحياة ما يليق بنا وبذكراها. لن أتركك

وحدك يا وائل، ولن أسمح للحزن أن يسرق منك طفولتك كما سرق مني الكثير. سنعيش، من أجلك، ومن أجلها."

ابتسم وائل بحركة طفولية عفوية، وكأن هذه الكلمات رغم بساطتها قد منحت الطفل شعورًا بالأمان. أمسك سليم بيده بإحكام، وسار به نحو الداخل، عازمًا هذه المرة على أن يجعل من كل يوم فرصة جديدة لبناء حياة أفضل، حياة تليق بذكرى ليلى وبالمستقبل الذي ينتظر وائل.

تمت بفضل الله.

الكاتبة : دحماني جيهان